وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي-الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة
قسم التاريخ
تخصص: تاريخ المشرق الاسلامي

رسالة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المشرق الإسلامي

التركيبة الاجتماعية وأثرها على الحياة العلمية في مصر خلال العصر الأيوبي (567.648هـ/1250.1517م)

من إعداد الطالبة:
- بكيري فاطمة

تحت اشراف:
د. حاج عيسى الياس

السنة الجامعية: 2021-2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة الرموز والاختصارات	
الرمز	المقصود به
ت	توفي
د ت ط	دون تاريخ اطبع
ط	الطبعة
تح	تحقيق
ص	الصفحة
ط	الطبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
ج	الجزء

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدى لك

معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فأدعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه".

رواه أبو داوود.

وعملا بهذا الحديث واعترافا بالجميل، نحمد الله عز وجل ونشكره على أن وفقنا

لاتمام هذا العمل المتواضع

ونتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ "طيفوري قدور" الذي أمدنا بالمعلومات

والنصائح القيمة راجين من الله عز وجل أن يسدد خطاه ويحقق مناه

فجزاه الله عنا كل خير.

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى" الأستاذ حاج عيسى الياس" بإشرافه على هذه الرسالة

المتواضعة وعلى توجيهاته ونصائحه لإنجاز هذه الدراسة بصورتها النهائية.

وأخيرا لا يفوتنا أن نعبر عن بالغ تحياتنا الى كل من ساعدنا من قريب

أو من بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع

إهـــــداء

ها هي رحلتي تجوب أخر محطاتها لتصل الى شاطئ الأمان لتحط بي من جديد في مسقط رأسي تاركة ورائها أجمل الذكريات

اهدي هذا العمل الى من وضع المولى – سبحانه وتعالى–الجنة تحت قدميها ووقرها في كتابه العزيز الى من كانت ولاتزال دعواتها الخيرية لا تفارق شفتيها أمي الحبيبة حفظها الله.

الى من كلله الله بالهيبة والوقار...الى من ساعدني في طريق نجاحي ...والدي العزيز اطال الله في عمره

الى القلوب الطاهرة الرفيعة والنفوس الصافية الى رياحين حياتي الى من حبهم يجري في عروقي اخواتي وأخواتي.

الى من سهرنا سويا وبكينا وفرحنا نحو النجاح والابداع ... الى اختي ورفيقة مشواري اكرام

الى من تحلت بالإيخاء وتميزت بالوفاء والعطاء صديقتي زينب

دون ان أنسى استاذتي جعيرن والأستاذ طيفوري قدور

لكم جميعا أهدي هذا البحث المتواضع راجية المولى عز وجل أن يطيل في أعماركم ، ويرزقكم الخيرات

فاطمة

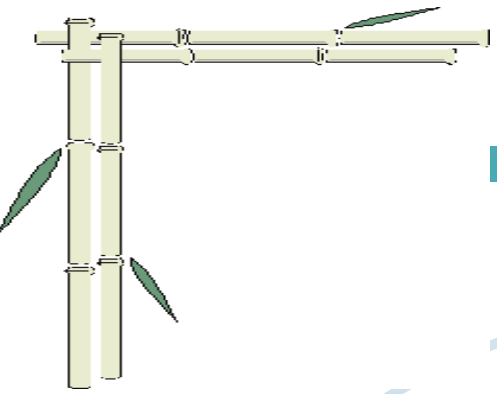

مقدمة

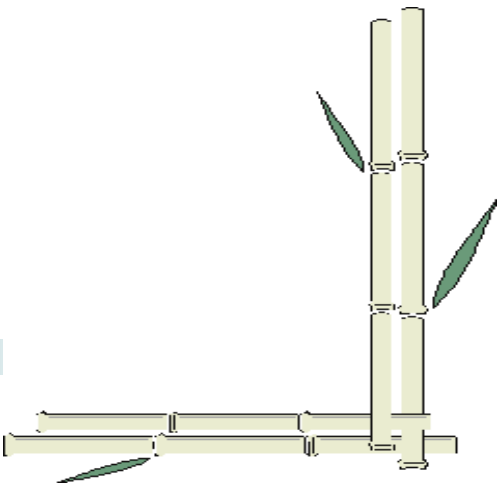

احتل التاريخ الأيوبي مكانة بين الدارسين الذين تناولوه تحليلا وتفسيرا، محاولين جهدهم ان يستقصوا جوانب ذلك التاريخ، فراحوا يتتبعون الوقائع العسكرية، والأحداث المتعلقة بقيام الدولة، والأحداث السياسية وما رافقها من وقائع وحروب جعل منها مادة حديثها وكتابتها الرئيسية عن تلك الفترات.

وتعد الأبحاث في التاريخ الاجتماعي من أحدث فروع علم التاريخ وأكثرها صعوبة، وتنبع المصاعب من شح المواد ذات المضامين الاجتماعية في المصادر لهذا لم ينل حقه من الاهتمام، فتأتي هذه الدراسة تتقصى، تركيبة المجتمع المصري في العصر الأيوبي وكيف أثرت على الحياة العلمية.567-648هـ) (1250.1171م). من خلال هذا الموضوع أردنا معرفة التغيرات الاجتماعية التي طرأت على مصر بمجيء الأيوبيين الى مصر في نهاية الدولة الفاطمية.

وتكمن أهمية الموضوع في توضيح طبقات وعناصر المجتمع وبيان التغير الذي حدث بمصر في تلك الفترة، من تغيرات حقيقية في تركيبة الطبقات المكونة للمجتمع المصري ودوره في الحياة العلمية خلال هذه الفترة الأيوبية التي شهدت الحروب الصليبية.

ومن بين الأسباب التي دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع رغبتنا في دراسة الحياة العلمية في مصر الإسلامية، كون هذه الفترة شهدت نشاطا علميا وانتشارا واسعا للمراكز العلمية من مدارس وجوامع، ومن الدوافع كذلك قلة الدراسات التاريخية في الجانب الاجتماعي خاصة في هذا العصر.

والبحث يطرح ويعالج إشكالية تركيبة المجتمع في العصر الأيوبي وأثرها على الحياة العلمية في مصر خلال العصر الأيوبي، وجاءت فروع الإشكالية تحت هذه التساؤلات:

. ماهي عناصر وطبقات المجتمع المصري في العصر الأيوبي؟

. ماهي مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر الأيوبية؟

. كيف أثر المجتمع على الحياة العلمية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الوصفي في تبيين الأوضاع العامة التي أحاطت بالموضوع واعتمدنا أيضا على المنهج التاريخي القائم على سرد الأحداث التاريخية، وقسمنا هذه الدراسة الى ثلاثة فصول بالإضافة الى مقدمة وخاتمة، حيث خصصنا أول فصل من هذه الدراسة للتعريف بالدولة الأيوبية ومؤسسها صلاح الدين، كما تطرقنا لعناصر وطبقات المجتمع المصري في هذا العصر.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان، مظاهر الحياة الاجتماعية تطرقنا فيه للأسرة وأساس تكوينها، الأعياد والاحتفالات بالإضافة الى عادات وتقاليد المجتمع الأيوبي في مصر.

أما الفصل الثالث فقد خصص للحديث عن دور المجتمع المصري على الحياة العلمية وجاء فيه ثلاث مباحث: المبحث الأول وتحدثنا فيه عن دور المجتمع في العلم والتعلم والمبحث الثاني بعنوان المدارس والمكتبات في العصر الأيوبي ودورها في المجتمع، أما المبحث الثالث تطرقنا فيه الى التنشئة الاجتماعية وأثرها على الحياة العلمية.

وانتهينا الى الخاتمة والتي بينا فيها خلاصة ما توصلنا اليه في بحثنا هذا.

أما بالنسبة لصعوبات التي واجهتنا فتتمثل في أن المصادر التاريخية شحيحة نوعا ما ومتناثرة بين الأسطر خاصة ذات المضامين الاجتماعية خاصة في العصر الأيوبي وذلك لأن مصادرنا الأولية لم تهتم بالتاريخ الاجتماعي والاهتمام بالجانب السياسي والعسكري لأن الدولة الأيوبية عاصرت فترة من أشد الفترات صعوبة على المسلمين، ألا وهي الحروب الصليبية.

ومن الدراسات السابقة فإننا لم نقف فيما وصلنا اليه من دراسات على أبحاث ركزت على تركيبة المجتمع المصري خلال العصر الأيوبي وما بحث تناول الحياة الاجتماعية منها رسالة ماجستير في التاريخ، الجامعة الأردنية بعنوان "الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي (567-648هـ/ 1171-1250م) من اعداد رشا خليل أحمد علي والبحث المستل من رسالة الماجستير الغير منشورة الموسومة بـ" الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي" كلية التربية جامعة زاخو 2011.

وقد اعتمد البحث على جملة من المصادر الأولية والمراجع منها كتب: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي المتوفى (845هـ/1441م) " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" فهو يعد أهم المصادر الرئيسية المهمة التي اعتمدنا عليها في كل جزء من أجزاء البحث و"لكتابه السلوك لمعرفة دول الملوك" أيضا دورا كبير في بيان أشكال الحياة الاجتماعية واعتمدنا على "كتابه البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب " الذي يعد أهم المصادر الرئيسية لتاريخ الهجرة العربية في العصر الأيوبي في مصر كما ساعدنا في التحدث عن اليهود وآثارهم في مصر من خلال كتابه تاريخ اليهود آثارهم في مصر.

ومن بين المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها في بحثنا كتاب "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" لجلال الدين السيوطي المتوفى(911هـ) وكتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لصاحبه أبي المحاسن ابن تغرى بردى الاتابكي المتوفى (874هـ/ 1469م)" النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة" الذي كان مصدرا لكثير من المعلومات.

ومن المؤرخين الذين استفدت من كتبهم أبو القاسم شهاب الدين المعروف بـ أبوشامة المتوفى (665هـ/1299م) في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" فهو من المصادر المهمة التي تخبرنا بتاريخ الدولة الأيوبية والتي أعانت البحث في كثير من النقاط الخاصة في العصر الأيوبي.

كما يأتي في نفس الأهمية كتاب محمد ابن اياس المتوفى (921هـ/1523م) "صاحب كتاب بدائه الزهور في وقائع الدهور"

الذي يصف فيه أحوال مصر السياسية والاجتماعية والعسكرية كما حكي عن الأعياد والاحتفالات عند المصريين.

أما المراجع المعتمد عليها فهي كثيرة ومنها كتاب محمود السيد "تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية "

وكتاب علي البيومي" قيام الدولة الأيوبية" وكتاب محمد علي الصويركي "تاريخ الأكراد " الذي ساعدنا في معرفة تاريخ الأكراد في مصر، بالإضافة الى كتاب " الحياة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول" لمؤلفه عبد اللطيف حمزة الذي أفادنا في الحياة الفكرية في هذه الفترة.

وقد رجعنا الى بعض البحوث والمقالات المنشورة في المجلات العلمية العربية ومنها الرسالة المقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط للأستاذ رمضاني فوزي" بعنوان دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي (648.567هـ/1250.1171م)" والأطروحة المقدمة لنيل شهادة دكتوراه الفلسفة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بعنوان " المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي" لصاحبتها سناء أحمد فلاح القضاه، وهذه أبرز المصادر والمراجع التي استفدنا منها في إثراء البحث وليست الوحيدة اكتفينا بتبيينها في هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع.

وفي الأخير أحمد الله وأشكره كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على عونه وتوفيقه.

الفصل الأول: عناصر وطبقات المجتمع المصري في العصر الأيوبي

المبحث الأول: عناصر المجتمع المصري.

المبحث الثاني: طبقات المجتمع المصري

تمهيد

يعتبر ظهور الدولة الأيوبية من الأحداث الرئيسية في الدولة الإسلامية، نظرا لما قامت به من دور كبير في مواجهة الهجمات الصليبية التي استهدفت الإسلام[1].

ومن الواضح أن قيام هذه الدولة ،إنما كان امتدادا للدولة الزنكية ،حيث كان والد الناصر صلاح الدين الأيوبي الأمير نجم الدين أيوب ،وأخوه أسد الدين شيركوه ، من كبار رجال الملك العادل نور الدين زنكي[2] ، وتحت قيادة أسد الدين شيركوه دخلت القوات الزنكية مصر ،ومن هناك بدأت دور الأسرة الأيوبية في الدخول ساحة الأحداث ،وذلك بالسيطرة على مقاليد الأمور فيها ،عندما تولى أسد الدين الوزارة للفاطميين ،وذلك بعد قتل الوزير شاور[3]،غير أن أسد الدين شيركوه لم يلبث أن توفى بعد ذلك ببضعة أسابيع ،ليتولى من بعده الوزارة ابن أخيه الناصر صلاح الدين الأيوبي ،فأخذ يقوي مركزه بإنفاق الأموال لاكتساب محبة الناس له واستطاع أيضا أن يقضي على الفتن والمؤامرات، وأن يتصدى لصليبيين على ثغر دمياط ،وأن يتخلص من الأمراء الموالين للدولة الفاطمية[4]، وتمكن من القضاء على الحكم الفاطمي عام (567هـ/1171م) إضافة إلى دوره في توحيد الجبهة الإسلامية وقيامه بطرد الصليبين من معظم الأراضي التي كانوا يحتلونها في بلاد الشام وفلسطين وعلى الأخص بيت المقدس .

يعتبر صلاح الدين بن أيوب، المؤسس الأول للدولة الأيوبية في مصرو الشام على (567هـ/1171م) على حيث تتفق أغلب المصادر التاريخية على أن أصل أسرته من عائلة كردية تعرف بالأكراد الروادية [5]،وأصلها من بلدة دوين الواقعة في اخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس، ومع ذلك هناك رأي أخر ينسب اسرة صلاح الدين الى أصل عربي ،حيث كانت قبائلالعرب تنزل

[1] علي البيومي، قيام الدولة الأيوبية في مصر، ط1، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، القاهرة، 1952م، ص94.

[2] الملك العادل نور الدين، هو أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي (569558هـ/1174.1154) من مشاهير حكام المسلمين في عصر الحروب الصليبية ، كان حنفي المذهب، محبا للفقراء، عرف بحب الخير والميل للعدل، والحرص على عمارة البلاد. ترجمته ابن الكثير البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص344.

[3] عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة،1997م، ص89.

[4] علي البيومي، المصدر السابق ،ص 102.

[5] ابن اياس ،المختار في بدائع الزهور في وقائع الدهور ،مطابع الشعب،1960م،ص86.

عند الأكراد وتتزوج منهم ،وهذه الأسرة بالتخصيص من نسل المروانيين ، فرع بني أمية ، فصلاح الدين :هو يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادى(أو شاذي) بن مروان الكردي ،فلعل ربطها بمروان الكردي كما يبدو لا يقصد بها اتصالها بجد حقيقي عرف بهذا الاسم ،أكثر مما يقصد به الى أنه من سلالة الخليفة مروان بن محمد آخر الأمويين ، الذي كانت أمه كردية[1].

[1] عبد المنعم ماجد ،المصدر السابق ،86.

المبحث الأول: عناصر المجتمع المصري

كان لموقع مصر الجغرافي والطبيعي الذي يتوسط قارات العالم القديم –آسيا وأفريقيا وأوروبا– أثره الكبير على السكنى فيها من قبل عناصر وأجناس مختلفة على مر السنين ،ارتبطت مع بعضها بروابط كثيرة ،وقد كان في مصر ابان الفتح الإسلامي أجناس مختلفة منهم القبط [1]،وأثناء الفتح دخلت القبائل العربية اليها واستقرت فيها وبمرور الوقت انصهر العنصر العربي مع العنصر القبطي ، وبتالي خرج مجتمع جديد بتقاليد وعادات جديدة ،فقد كان لمجيء الإسلام وانتشاره دور كبير في استقطاب البلاد للكثير من الأجناس ،فأصبح للعرب مكانة ونفوذ في مجتمعها وأستمر هذا النفوذ حتى قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام [2]

وبعد مجيء الأيوبيين حدثت تغيرات جوهرية في التكوين الطبقي للمجتمع المصري، اذ تراجع نفوذ بعض العناصر وحل محلها عناصر أخرى وهذا ما سنحاول التطرق له.

1: المسلمون

شهدت العلاقات بين مصر والعرب بعد ظهور الإسلام نموا مضطردا، وقد رحبت مصر بالإسلام والفتح الإسلامي واندمجوا بالعرب الفاتحين، وقد أثمرت هذه العلاقة عن تغيير مصر لسانها لثاني مرة، وكانت غيرته لأول مرة بعد فتح الإغريق لمصر، وأصبحت مصر قلب العروبة وحصنها المنيع[3].

أ–العرب:

بدأت فكرة فتح مصر بعد استكمال فتوحات الشام، وذلك عندما طلب عمرو بن العاص –رضي الله عنه –من الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – فتح مصر على إعتبار أنها تأمن

[1] عبد الخالق خميس علي، الحياة الاجتماعية في الدولة الأيوبية ،مجلة ديالي ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ،جامعة ديالي ،2015،العدد 65،ص 294.

[2] نفسه ،ص295.

[3] تقى الدين أحمد بن علي المقريزي ، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب ،تحقيق وتعليق عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم ،المكتبة الأزهرية للتراث ،القاهرة ،2006،ص20.

الفتوحات الإسلامية في الشام، وبعد تردد من الخليفة وافق على فتح مصر وأمد عمرو بن العاص – رضي الله عنه – بحوالي أربعة آلاف جندي لإتمام عملية الفتح[1].

وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص سنة (21هـ/641م) وأصبحت ولاية إسلامية أذنت بهجرة العديد من القبائل العربية إليها –بعد أن كانت ولاية تابعة للحكم

والإدارة البيزنطية[2]–ومن القبائل العربية التي صاحبت عمرو بن العاص –رضي الله عنه – قبائل قحطانية وعدنانية، وقد كانت القبائل القحطانية هي اكثر القبائل التي

أتت مع الفتح الإسلامي فأخذ العرب ينتشرون في أنحاء مصر ومن بين هذه القبائل قيس وجذام ،بلي[3] وجهينة[4] واشتغلوا بالزراعة والتجارة.[5]

وتوزعت القبائل العربية في مصر في عصر الدولة الأيوبية على الشكل التالي[6]:

***الوجه القبلي(الصعيد):**

أ–قوص: استقر في قوص في بداية العصر الأيوبي عدد من القبائل العربية هي:

بلى، جهينة، بنو هلال[7] وبنو كنز[8] الدولة.

---

[1] المقريزي ،البيان والاعراب ، ص24.

[2] خالدة سلمان، التركيبة الاثنية للمجتمع المصري خلال العصر الأيوبي ،مجلة جامعة زاخو، كلية التربية الأساس ،قسم التاريخ، جامعة زاخو، كوردستان ، العراق، 2013،عدد 01،ص 237.

[3] بلي: من عرب الجنوب وينسبون الى بلي بن عمر بن ألحافبن قضاعة من القبائل القحطانية ،سكنوا الصعيد ،وكان من بينهم الامراء .

[4] جهينة : هم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن لحاف بن قضاعة من القحطانية وانتشروا في مدينة اخميم

[5] المقريزي ،المرجع السابق ،ص 25.

[6] محمود السيد ،تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، المؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1998، ص 34.

[7] بنو هلال : هم بنو هلال بن عامر بن قيس عيلان من العدنانية توزعوا في منطقة الصعيد كلها الى عيذاب .

[8] بنو كنز :هم من ربيعة من نزار بن سعيد بن عدنان .

ب–الأشمونين: استقر الأشمونيين في الصعيد الأوسط عدد من القبائل العربية هم الجعافرة[1] والطليحيون[2] والقرشيون[3] وكانت تجمع بين هذه القبائل الثلاث صلة نسب وقرابة ربطت بينها فكانت يد واحدة ،وقد أجمعت هذه القبائل الثلاث على تأييد الأسرة الأيوبية فحاربت مع بني أيوب في مصر ضد الصليبيين[4] .

ج –البهنسا

وتتألف القبائل العربية الضاربة في البهنسا من بنى الزبير وبنى مصلح وبنى رمضان وبنى شيبة ويعرفون بجماعة نهار وهم قرشيون.

ثانيا :في الوجه البحري

أ – الشرقية: من القبائل العربية التي نزلت بالشرقية هي جزام اليمنية وقد نزلت بادئ الأمر بالفسطاط ثم إستقرت بأرض الحوف في عصر الدولة الأيوبية، وفي عام 565هـ/1169م أصدر صلاح الدين أمره إلى عرب جذام بالشرقية بالانتقال الى البحيرة وذلك لعدم رضائه عن اشتغالهم بالتجارة مع الفرنج[5].

ب– ثعلبة وجرم

بنو ثعلبة بطن من طئ من القحطانية.أما بنى جرم وينسبون الى ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طئ من القحطانية.أما بنو جرم وينسبون الى ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طئ القحطانية ثم قدموا الى مصر في عصر الدولة الأيوبية ونزلوا بأمر صلاح الدين في منطقة الشرقية

[1] الجعافرة: نسبة الى جعفر بن أبي طالب

[2] الطلحيون ،نسبة الى طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–

[3] القرشيون :ويتألفون من بني زهرة وبني مخزوم ، وبني أمية وبني بدر سكنوا بالأشمونيين .

[4] محمود السيد ،المرجع السابق،ص39.

[5] محمود السيد، المرجع السابق، ص40.

جـ- المنوفية: سكنت المنوفية قبائل لواته التي كانت تنسب نفسها الى العرب فذكروا أنهم من قيس عيلان .وقد اختلف المؤرخون في اثبات صحة نسبهم الى العرب .ومن الثابت أنهم بربر ثم تعربوا بسبب اختلاطهم بقبائل العرب في مصر قبل عصر الأيوبيين وانتسبوا الى قبيلة قيس عيلان [1]

د-البحيرة: ونزلها من قبائل العرب بنو سنبس وهوارة وهم بربر متعربون ينتسبون الى عرب اليمن وعرب لواته وبنو عوف

وقد بدأ تعاون العرب مع الدولة الأيوبية مبكرا للغاية، فقد اتضح هذا التعاون بوجه خاص مع صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية قبل أن يتولى الحكم في مصر أيام كان وزيرا للعاضد وقد حفظ السلطان صلاح الدين للعرب هذا الدور ثم نهج هذا المنهج خلفاؤه في الحكم، وهكذا ساد العصر الأيوبي نوع من الوفاق بين الأسرة الأيوبية الحاكمة وبين قبائل العرب.[2]

وكان لهذه القبائل دور فعال في مساندة الأيوبيين فقد شاركوا في الدفاع عن دمياط واستردادهم لها حيث كان التعاون كاملا بين قبائل العرب من بنى كنانة وبنى مدلج وبنى عدى وغيرهم والجيش الأيوبي للدفاع عن دمياط كما شاركوا ضد حملة لويس التاسع على دمياط عام 646هـ.[3]

وشكلت القبائل العربية ،ولاسيما البدو الأعراب قوة غير نظامية يجتمعون أثناء الأزمات ،كما حدث في عهد السلطان الكامل عندما استولى الصليبيون على دمياط، فالتحق عدد كبير من عربان الصعيد وأعمالها وأسوان بجيش السلطان وبلغ عددهم نحو أربعين ألف مقاتل ، كما استعان الأيوبيون بالبدو كأدلاء للجيش الأيوبي ،واشتهر بعضهم ولاسيما عرب بنو كنانة بعلمهم كأدلاء في الطرقات منذ عهد صلاح الدين ، كما كانوا يكلفون أحيانا بحماية أقاليم الأطراف واتخاذ الإجراءات الكفيلة لرد ما أغتصب من الأموال والممتلكات بسبب اعتداءات قطاع الطرق [4].

---

[1] المصدر نفسه، ص42.

[2] محمود السيد، ص 123.

[3] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مصطفى زيادة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،الطبعة الأولى ،1958،ج3،ص320.

[4] المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،الهيئة العامة لقصور الشعب ، القاهرة ،2002،ج3،ص470.

ب- الكرد:

يعود وجود الكرد بمصر الى عهود تاريخية مبكرة ، خاصة بعد الفتح الإسلامي لكردستان ودخول الأكراد كمكون جديد في الأمة الإسلامية ،فساهموا في بناء الحضارة الإسلامية ،فأخذ الأكراد ينزلون مصر[1] وتزايد أعددهم بعد منتصف القرن (6هـ/12م) أما قبل ذلك فكان دورهم محدودا ،واقتصر على بعض الشخصيات التي تقلدت مناصب في الدولة الفاطمية[2]، فقد ذهب الكثير من رجالات الأكراد الى مصر على شكل قادة عسكريين وجنود، وطلبة علم لتلقي المعرفة من الجامع لأزهر[3] ،ومن هذه الشخصيات التي ظهرت في مصر خلال العهد الفاطمي كالأمير علي بن السلار الكردي الزرزاري (ت:548/1103م) الذي أصبح وزيرا للخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله ،وكان قبل ذلك واليا على الإسكندرية والبحيرة ،وكان ابن السلار شافعيا ،اليه نسب بناء مدرسة في الإسكندرية ،عندما كان واليا عليها قبل أن يلي الوزارة ،وقد ظلت هذه المدرسة قائمة في العصر الأيوبي ،ولاريب أن انشاء هذه المدرسة كان تحديا صريحا لدولة الفاطمية وانتصار للمذهب السني[4] .

كما ورد ذكر الكرد ضمن أصناف الجيش الفاطمي، الا أن دورهم كان محدودا للغاية، على عكس العصر الأيوبي حيث برز دورهم بعد أن أصبحت لهم الريادة في قيادة الجيش وإدارة البلاد، واستكمال تنفيذ مابدأه الزنكيون من قبل التصدي للفرنجة وطردهم من منطقة غربي آسيا[5]، ويعد تأسيس الدولة الأيوبية من أهم العوامل التي ساهمت في هجرة الأكراد الى مصر، كما دفع الغزو المغولي لبلادهم فيما بعد بالعديد منهم، أفرادا وجماعات للهجرة غربا والاستقرار في البلاد الشامية والمصرية[6] .

---

[1] محمد علي الصويركي، تاريخ الأكراد في بلاد الشام ومصر والحجاز، مطبعة السفير ،عمان ، الطبعة الأولى ،2010، ص199.

[2] خالدة سلمان ،المرجع السابق ،ص 328.

[3] محمد علي الصويركي ،المرجع السابق ،ص200.

[4] المصدر نفسه، ص 205.

[5] محمد سهيل طقوش، تاريخ الأكراد، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 2015م، ص 53.

[6] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص228.

ويعد الملك المنصور أسد الدين شيركوه أول من ولي مصر من الأكراد الأيوبيين وهو أخو نجم الدين أيوب، وعم السلطان صلاح الدين، وكان من كبار القواد في جيش نور الدين الزنكي بدمشق وقد أرسله على رأس جيش الى مصر وقد سبق للكثير أن رافقوه في حملاته الثلاث[1]، وبعد تولي صلاح الدين الوزارة الفاطمية انتقل معظم القادة الأكراد مع اهاليهم وأقاربه، واستقروا فيها، وحصلوا على ضيع واقطاعات واقطع السلطان أباه نجم الدين أيوب الإسكندرية ودمياط والبحيرة، في حين أقطع أخاه توران شاه قوص، وأسوان، وعيذاب بأرض الصعيد.[2]

كما شاركت الكثير من القبائل والمجموعات الكردية في الحروب ضد الصليبيين، حيث انظمت الى فئات الجيش الأيوبي، فساهموا في حروب الجهاد ضد الصليبيين، وفع الكثير منهم حياته ثمنا لذلك.[3]

ومن القبائل والمجموعات الكردية التي تواجدت في مصر خلال العصر الأيوبي:

القبيلة الروادية —وهي القبيلة الكردية التي انبعثت منها الأسرة الأيوبية وهي بطن من بطون الهذبانية[4]وكان موطنها في إقليمي الجزيرة والموصل، كما استقر بعضهم في مناطق أذربيجان،[5]

ومن الهذبانية أيضا المارنية، وموطنها بالمروج تحت الموصل، وتنتمي أسرة (بني درباس) التي اشتهر أبناؤها بالقضاء بمصر الى هذه الأسرة[6].

[1] محمد علي الصويركي، المرجع السابق، ص 205.

[2] أبو شامة أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد بن حسين، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الثانية، 1999م، جزء 2، ص 120.

[3] ابوشامة، المرجع السابق، ج2، ص75.

[4] علي البيومي، المرجع السابق، ص25.

[5] ان الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري الشيباني، الكامل التاريخ، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ط ت ط، ص235

[6] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص329.

ومن القبائل الكردية الأخرى، التي كانت لها وجود بمصر، قبيلة الزرزارية التي كان لأبنائها وجود في مصر والشام في عهود سبقت الأيوبيين، ومع قيام الدولة الأيوبية بمصر التحق رجال الزرزارية بالمعسكر الأيوبي.

ونزحت الى مصر مجموعات أخرى،كالقبيلة البابيرية التي نزح الكثير من أبنائها عن مواطنهم في شهرزور صوب بلاد الشام ومصر، هربا من غارات المغول.

والتحقت العديد من القبائل الكردية بصفوف الجيش الأيوبي ومنهم: القبيلة الكيكانية والقيمرية، والمهرانية، والهكارية، والحميدية، وصار بعضهم من كبار قادة الجيش الأيوبي، وكان للكرد المهرانية الدور الريادي في تحرير بيت المقدس[1].

ولم تقتصر مشاركة الكرد على النواحي السياسي والعسكرية فحسب بل تعدى ذلك مشاركتهم في جميع نواحي الحياة وخاصة الفكرية.

ج–الترك:

يرجع تواجد الأتراك الى مصر بدأ منذ عهد الدولة الطولونية أولى الدول التركية التي تعاقبت على حكم مصر[2]،وسارت الدولة الاخشيدية على سنة أسلافها الطولونيين في اتخاذ المماليك الأتراك، وكذلك استعانوا بهم الفاطميين في الجيش، حيث كان في الجيش الفاطمي فريق يسمى ب: المشارقة، نسبة الى المشرق الجهة التي قدم منها أجدادهم ومعظمهم من الأتراك، والأعاجم تميزا لهم عن العرب[3]. وبعد انتهاء الدولة الفاطمية بقيام الدولة الأيوبية على يد الناصر صلاح الدين سنة 567هـ/1171م، والدولة الأيوبية كما هو معروف كردية الأصل، ولكنها جاءت عن طريق الدولة السلجوقية التركية ومماليكها، ونقلت عنها الكثير من عاداتها وأنظمتها التركية المشرقية[4]، وقد اعتمدت اعتمدت الدولة السلجوقية منذ نشأتها الأولى على المماليك الترك، وورث هؤلاء سياستها ومراميها،

[1] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص 330.

[2] عبد الخالق خميس علي، المرجع السابق، ص 295.

[3] خالدة سلمان، المرجع السابق،ص330.

[4] أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ت ط ،ص34.

فسار الأيوبيين على سنة السلاجقة وأتابكاتهما لإكثار من المماليك الأتراك واستخدامهم في الجيش[1]، وأخذ صلاح الدين يعمل على محو آثار الدولة الفاطمية بمختلف الوسائل الحربية والمدنية والثقافية، فأزال الجنود الفاطميين من العبيد السود والأرمن وغيرهم، وأخذ في تكوين جيش قوامه المماليك الأسدية القدماء فضلا عن المماليك الأتراك الذين اشتراهم لنفسه وسماهم الصلاحية نسبة الى اسمه أو الناصرية نسبة الى اللقب(الناصر)الذي اضفاه عليه الخليفة الفاطمي حين ولاه الوزراة.[2]

وقد شكل الترك العنصر الرئيسي في الجيش الأيوبي، اذ جاءوا بالمرتبة الثانية بعد الكرد من حيث العدد ،فاهتم صلاح الدين بشراء المماليك الترك على اختلاف أجناسهم والذين ترجع جذورهم الى منطقة سهوب وسط اسيا وغربها وكان معظمهم من الاتراك والاكراد ،وكان عليهم التصدي للحروب والغزوات وصيانة الحدود والحصون ولا يغادرون العاصمة الا مع السلطان.[3]

د–السودان والمغاربة:

ترتبط مصر ببلاد السودان بعلاقات أزلية قديمة، وكانت بلاد النوبة تمثل منطقة أمن للحدود المصرية الجنوبية، بل كثيرا ما امتدت حدود مصر واتسعت لتشمل النوبة

وتقع جنوبي أسوان ولها ملك خاص وسكانها سود البشرة ودينهم النصرانية ويذهب اليها التجار يبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق[4].

[1] ابن الأثير، الكامل ، ج2،ص233.

[2] أحمد مختار العبادي ،المرجع السابق، ص45.

[3] نجوى كمال كيرة، الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي،مكتبة زهراء الشرق، مصر، الطبعة الأولى ،2007م، ص356.

[4] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية،1959م، ص 261

بعد القرن الثامن، زادت هجرات القبائل العربية على شمال المملكة السودانية واختلط العرب بأهل النوبة وسكنت بعض القبائل العربية هذا الجزء ومنها ربيعة وجهينة وعكرمة وأصبح لهم وزن وشاركوهم في أعمال التجارة [1]

وقد كان أكثر رقيق الدولة الإسلامية من السود بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية وامتدادها الى القاهرة

مع بداية دخول هؤلاء السودانيين في جيش مصر، اتبع أحمد بن طولون في تجنيد العناصر غير العربية في الجيش ومنها العنصر السوداني وكان ابن طولون يحبهم حبا شديدا لإخلاصهم له، وقد ثق بهم غاية الثقة فانتشرت في عهده تجارة الرقيق[2].

وبعد زوال الدولة الطولونية وقيام الدولة الإخشيدية على يد محمد بن طغج بنجف الاخشيدي أكثر من استخدام السودانيين فكانت مصر في العصر الاخشيدي من أعظم أسواق الرقيق السود الذي كان يصل اليها من الجنوب .

كما استخدم الفاطميون السودان أو العنصر النوبي تمشيا مع السياسة التي اتبعها الاخشيديون من قبل، وكانت سياسة الفاطميين تقوم في تكوين جيوشهم على عدم الاقتصار على جنس واحد فإلى جانب المغاربة ادخلوا العنصر السوداني[3].

ومن السودانيين الذين كانوا شديدي الولاء للفاطميين المصامدة الذين تمردوا على السلطان صلاح الدين فأخرجهم من القاهرة، وذكر المؤرخ ابن واصل ذلك بقوله: (فشرعنا في تلك الطوائف والأجناد السودان، والأرمن فأخرجناهم من القاهرة).[4]

---

[1] جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل ،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين شيال، دار الكتب والوثائق القومية ج 2،ص266.

[2] نجوى كمال كيرة، المرجع السابق، ص 132.

[3] أبن اياس، بدائع الزهور، ج1 ص230.

[4] أبو شامة، الروضتين، ج2،ص235.

أما في العصر الأيوبي فتواجدت في مصر الكثير من الجاليات السودانية حيث ساهمت عوامل عديدة في تدفقهم، لعل في مقدمتهم توافدهم السنوي لأداء فريضة الحج، حيث كان يتوجب عليهم في طريق ذهابهم وإيابهم أن يمروا بمصر لكونها تقع على طريق الحج بين بلادهم والأماكن المقدسة بالحجاز[1].

وقد أتاحت رحلات الحج عبر الأراضي المصرية فرصة لتواجد الكثير من الجاليات السودانية في مصر طيلة العصرين الأيوبي والمملوكي، حيث كانت تتدفق اليها سنويا مواكب من الحجاج القادمة من بلاد السودان، وكان منهم من يبقى في مصر للإقامة فيها، وذلك من أجل التفرغ لتلقي العلوم والمعارف التي كانت مزدهرة فيها[2].

أما المغاربة، فقد كثر تواجدهم في مدينة الإسكندرية في العصر الأيوبي، فقد قصدوها اما طلبا للعلم أو للحج أو التجارة أو مجاهدين طيلة القرن (7هـ/13م)، واندماج الكثير منهم في المجتمع المصري، وكانت لهم اسهامات على أكثر من صعيد فقد مارسوا حرفا مختلفة، واشتراكهم في أحداثها السياسية ونشاطها العلمي[3].

وقد عرف عن السلطان صلاح الدين اهتمامه ورعايته لهؤلاء المغاربة، ولاسيما طلاب العلم، وكذلك الفقراء والصوفية منهم ممن انقطعت بهم السبل للعودة الى بلادهم بعد أدائهم فريضة الحج، كما أمر صلاح الدين الأيوبي بإنشاء مدرسة لهم بالإسكندرية بالإضافة الى دور العلم المتخصصة لطلبة العلم الذين كانوا يقدمون من جميع الأقطار[4]. وظل المغاربة ينزلون الإسكندرية في طريقهم الى الحج، واستوطنها الكثير منهم، واتخذوها دار رباط حتى نهاية عصر المماليك[5].

---

[1] خالدة سلمان، المرجع السابق، 332.

[2] المصدر نفسه، ص331.

[3] أبو شامة، المرجع السابق، ج2، ص284.

[4] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص332.

[5] سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009، ص200.

ثانيا: أهل الذمة

يطلق مصطلح أهل الذمة على القبط واليهود في مصر –شأنها شأن غيرها من البلاد الإسلامية، والذمة في اللغة العهد والأمان والضمان، والمنتفعون بهذا العهد يسمون أهل الذمة أو الذميون، وأهل الذمة هم المستوطنون في الأقطار الإسلامية من غير المسلمين، وهم أهل الكتاب. أي أصحاب الكتابين السماويين التوراة والانجيل، ولهذه الطبقة أحكام خاصة في الإسلام.[1]

أصبح المصريون من القبط واليهود بعد الفتح العربي لمصر أهل ذمة، فأصبحوا في ذمة المسلمين بعد اعطائهم العهد والأمان على أنفسهم وأملاكهم، ونسائهم وأطفالهم، وحرياتهم الدينية والمدنية. وهذه الحقوق التي حصل عليها أهل الذمة كانت في مقابل بعض الواجبات التي التزموا بها، أو الاحكام التي فرضت عليهم، وكان في مقدمة هذه الواجبات أداء الجزية والخراج، كما كانت هناك حدود رسمتها الحكومة العربية الإسلامية، ترتبط ببناء الكنائس والدور، والملابس وبمعاملة الذميين للمسلمين، والطقوس الدينية... [2]

وتحدث القران الكريم عن الجزية في قوله سبحانه وتعالى { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الاخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون [3]} صدق الله العظيم.

ومن المعروف أن أهل الذمة في مصر أصبحوا منذ الفتح العربي أحسن حالا مما كانوا عليه تحت حكم البيزنطيين بسبب مالقوه من تسامح ديني، واستمرت سياسة التسامح تجاه أهل الذمة سائدة طوال عصر الطولونيين والاخشديين حتى وصل الذميون في العصر الفاطمي الأول الى أرفع مناصب الدولة[4]. أما صلاح الدين الأيوبي فأدخل كثيرا من أقباط مصر في خدمته، وكذلك فعل

---

[1] فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت ط ، الجزء 1، ص105.

[2] علي حسن الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، دار المعارف، د ت ط، ص132.

[3] سورة التوبة، الآية، 29.

[4] فاطمة مصطفى عامر، المرجع السابق، ص297.

ملوك الأيوبيين من بعده فقد كانت لهم مشاركة فاعلة في الحياة العامة، لكونهم يمثلون شريحة أساسية في المجتمع المصري، وانتشروا في الكثير من المدن والقرى[1].

وقد شكل الأقباط شريحة كبيرة العدد، وكانوا يمثلون الغالبية العظمى في المجتمع المصري، وهم من السكان البلاد الأصليين وسموا بالأقباط تمييزا لهم عن العناصر الأخرى التي سكنت مصر كاليونان والرومان وغيرهم من النازحين للتجارة أو الخدمة أو غيرها من الشام والعراق واليمن والنوبة وافريقية.[2]

فضلا عن القبط فقد ضم المجتمع المصري طوائف أخرى من المسحيين كالأرمن، الذي برز وجودهم في العصر الفاطمي، لكن بعد قيام الدولة الأيوبية بدأ صلاح الدين بمحو أثار الدولة الفاطمية فأزال الجند من العبيد السود والأرمن، وغيروهم ممن وقفوا ضدهم وأثاروا له المشاكل في مصر، واشتهر الأرمن بوجه خاص بموقفهم المتعاطف مع الصلبيين[3].

ومن الطوائف المسيحية التي كانت تعيش في كنف الدولة الأيوبية نذكر منها :الروم الأرثوذكس، أو الملكانيين، والأرمن الأرثوذكس، فضلا عن وجود بعض الفرنجة من المستامنين، وهم غالبا من الكاثوليك، وكان الكثير منهم يقيم في المدن الساحلية لمزاولة الأعمال التجارية، ومنهم من كان مستوطنا ممن قدم مع الحملات، أو ولد في الشرق، وقد فضل بعضهم الاستمرار في العيش مع المسلمين في مدن بلاد الشام، لاسيما الساحلية منها[4].

ومما لاشك فيه أن الحروب والحملات التي قادها الغرب الأروبي قد غيمت بظلالها على المشرق لأكثر من قرنين، وكان لها الكثير من النتائج الوخيمة، الا أنها مع ذلك لم تكن لتثني الأيوبيين من انتهاج سياسة حكيمة مع رعاياهم من غير المسلمين، لاسيما من المسحيين، باعتبارهم يمثلون عنصرا اصيلا في بنية المجتمع الإسلامي[5].

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، 1992م، ص49.

[2] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص334.

[3] نفسه،ص337.

[4] المقريزي، ، ج 2، ص 245.

[5] نفسه،ج3 السلوك ، ص303.

أما اليهود فجاء ذكرهم حين فتح العرب الإسكندرية على يد عمرو بن العاص حيث كان يسكنها حوالي أربعين ألف يهودي وأصبح اليهود ينعمون بتسامح الإسلام بعد أن كانوا يتعرضون لأنواع كثيرة من الاضطهاد في ظل الحكم البيزنطي، وأصبحت لهم مكانة كبيرة في الدولة الأيوبية وتمتعوا الى حد كبير بحرياتهم الدينية والاجتماعية، واندمجت غالبيتهم في المجتمع المصري، ومارسوا عاداته وتقاليده الدينية بشكل طبيعي، كما تكلموا باللغة العربية لغة عامة المصريين [1]

وكان أهل الذمة آمنين طوال العصر الايوبي وبلغوا مبلغا كبيرا من الثروة والنفوذ والسلطان

فقد كان عصر تسامح تجاه المذاهب والأديان المختلفة، وكان ذلك وحده كفيلا بانتعاش الحياة بكافة جوانبها، لاسيما الفكرية، فقد مهد لظهور المواهب والكفاءات والتنافس فيما بينهم وقد تولى بعض أهل الذمة العديد من الوظائف في المجتمع الأيوبي فبرزوا في مجال الطب، واشتغلوا بالتجارة وشغلوا العديد من وظائف الدولة.

[1] المقريزي، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة لنشر والتوزيع والتصدير، لقاهرة، د ت ط، ص140.

المبحث الثاني: الفئات الاجتماعية في مصر في العصر الايوبي.

يتناول هذا الفصل الفئات التي تكون منها المجتمع المصري في العصر الايوبي والذي يتكون من الطبقة الخاصة من السلاطين والامراء، وتليها طبقة علماء الدين وموظفي الدولة، ثم طبقة التجار.

أما الطبقة الخاصة فهي تشتمل على الفلاحين والصناع والعربان والجند الذين هم الفئات الناشطة في المجتمع المصري وترسخت فيهم العادات والتقاليد والقيم عبر العصور الطويلة من تاريخ مصر.

أولا- الطبقة الخاصة:

1-السلاطين والامراء:

وهي الطبقة الأعلى اجتماعيا، التي تقوم بتصريف شؤون البلاد والمحافظة على أمنها وسيادتها[1]، حيث قام السلاطين والامراء بدور اجتماعي واضح المعالم في العصر الايوبي وصنفوا ضمن الفئة الخاصة ويتفاوت الدور الاجتماعي بين السلطان والسلطان وأمير حسب الظروف التي مرت بها الدولة غير ان هناك إطار عاما لذلك.

ولما كان عصر الايوبيين امتدادا للعصر الفاطمي في كثير من المجالات وان اختلف من حيث المذهب الديني فان كثيرا من ملامح الحياة الاجتماعية عامة كانت موجودة في العصر الفاطمي، وقد توسط عصر الايوبيين عصرين تميزا بالبذخ، لكن مرافقته للحروب الصليبية جعل له خصوصية[2].

[1] رمضاني فوزي، دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الأستاذ بحاز إبراهيم بكير، قسم التاريخ والجغرافيا، جامعة الجزائر، 1430-1431/2009-2010، ص15.

[2] رشا خليل أحمد علي، الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي، رسالة ماجستير في التاريخ، اشراف الأستاذ محمد خريسات، قسم التاريخ، جامعة الأردن،2010، ص 19.

وعندما تولى صلاح الدين الوزارة في مصر وقويه مركزه ألغي المذهب الفاطمي سنة (567هـ / 1171م) وبذلك تحولت مصر الى المذهب السني ووجد الى جانب المذهب السني في مصر في العصر الايوبي في فرق شيعة متعددة مثل الامامية، والزيدية، والاسماعيلية والنصيرية[1].

كان الملوك الايوبيين جميعا من اتباع المذهب الشافعي الا الملك المعظم عيسى، اذ انه كان حنفيا وكثرت المساجد وكانت ملاذا للزهاد يقتصرون فيها للعبادة وختم القران وكانت تفتح طوال النهار للطلاب العلم والاداء فرائض الصلاة[2]. وتمثل الدور الاجتماعي للسلاطين الايوبيين كالأعمال التي قاموا بها فقد بني السلطان صلاح الدين[3] سور القاهرة وكان الهدف من بنائه ان يجمع بين القاهرة ومصر وقد اوكل هذه المهمة لأميره قراقوش الاسدي.

وكان قد بني قلعة الجبل ومد السور ليجمع بين القاهرة ومصر والقلعة، كما بنى القناطر والجيزة مستعينا كذلك بأميره قراقوش[4].

وكان الملك الكامل[5] في فتره الغلاء يتدخل في الشعير وبأمر بان يباح بالسعر الواقع وامر سنة (628هـ / 1230م) بحفر البحر الذي من دار الوكالة بمصر وشارك بنفسه في حفره ومعه الامراء والعوام وضرب دراهم مستديرة عرفت آنذاك بالكاملية[6]

وقام السلاطين الايوبيين ببناء المدارس والخنقاوات وتقريب العلماء والفقهاء ومشاركتهم فنونهم فضلا عن بناء المؤسسات الاجتماعية الأخرى

---

[1] رشا خليل أحمد علي، الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي ، ص 20.

[2] أبو شامة، الروضتين، ج1، ص36.

[3] السلطان صلاح الدين، الملك الناصر أبو المظفر ابن الأمير نجم الدين أيوب، وهو أول سلاطين بني أيوب، توفى سنة 589هـ / 1193م. ابن الأثير، الكامل، م 10،ص 224.

[4] قراقوش: هو بهاء الدين ين عبد الله الأسدي ووصفة بالأسدي نسبة الى اسد الدين شيركوه الذي اشتراه وتملكه وأعتقه وهو لفظ تركي معنى النسر الأسود.المقريزي، المواعظ ،ج3، ص336.

[5] هو سلطان الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن أيوب وهو خطيب لأمين بني أيوب في مصر أنشأ المدرسة الكمالية وعمر القبة عر ضريح الامام الشافعي توفى سنة 634هـ / 1236م.

[6] الدوادري، كنز الدرر، ج7، ص 276.

كما عزف صلاح الدين الايوبي عن مباهج الحياة مغرياتها وصرف جهده الى الاعمال الصالحة وجهاد الفرنج والغزاة.[1]

عندما تولى صلاح الدين الحكم في مصر ضبط امورها واقام العدل فيها، وأسقط الضرائب والمكوس فيها، كما امر الافضل في توقيع له بإسقاط المكوس،[2] وأمر الافضل في تقليدي سلطاني لاحد الولاة بمراعاة احوال الفقراء وايصال الصدقات المخصصة لهم في البداية لكل شهر دون ابطاء او تأخير تخفيفا لمعاناتهم كما امر في تقليد سلطاني لاحد الاعيان في ولاية دمشق مذكرا إياه بان الرعية قد أصبحت أمانة في عنقه فعليه ان يؤدي حقوقها على أحسن وجه وامره بإبقاء بابه مفتوحا لشكاوى الناس وظلاماتهم واقامة العدل بين الخصوم ودرء الحد بالشبهات حفاظا على دماء الناس وارواحهم دون التخلي عن الحزم في معاقبة المذنبين.

ونال الايوبيين حب الناس لكونهم عاشوا في فتره تمثلت بالجهاد والتصدي للحملات الصليبية.

2-العلماء وموظفي الدولة:

واشتملت هذه الفئة على العلماء من القضاة والمحتسبين والأطباء والخطباء والقراء وعلماء الحديث وكتاب الدواوين وموظفي الدولة.[3]

وكان للعلماء دور بارز في المجتمع، فعلى أيديهم يؤخذ العلم الشرعي من خلال ما يقومون به من أعمال كالإفتاء والتدريس، وغير ذلك من الأعمال التي فيها احتكاك مباشر بالمجتمع[4].

[1] ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط2، 1994م، ص135.
[2] أبو شامة الروضتين، ج2، ص 232.
[3] رشا خليل، المرجع السابق، ص43.
[4] رمضاني فوزي، المرجع السابق، ص 16.

وقد نال العلماء نصيبا وافرا من اهتمام السلاطين الايوبيين وذلك تبعا للدور الذي تؤديه هذه الفئة الفاضل وخدمتها للعامة والخاصة فقد ارتبطوا بطبقة الحكام وقربوا من مجالس السلاطين فالقاضي عبد الرحيم بن علي البيساني، كان وزيرا لصلاح الدين، وهو من مقربين حتى كان يقول للناس عنه "لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل."

اما القاضي ابن شداد فقد لعب دورا في التوفيق بين افراد البيت الايوبي في مصر والشام وكلما نشب بينهم نزاع حول امر ما كان يعمل على حله وكان كثيرا التنقل بين حلب والقاهرة لتحقيق هذا الهدف وكان ملازما للسلطان صلاح الدين[1].

ونال القضاء منزلة عالية في المجتمع المصري في العصر الايوبي، وكانوا يحكمون في الشريعة الاسلامية وان كان بعضهم يطوعونها بحيث تلائم الرغبات السلطانية، ومن أشهر القضاة في العصر الايوبي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني والقاضي ابن شداد[2].

ومن قضاة مصر شرف الدين ابن الصفراوي قاضي قضاة مصر الذي ولي القضاء سنة 584هـ / 1188م والقاضي كمال الدين ابو حامد الذي كان يجلس الملوك وتوجب ان يتحلى القاضي بالأدبي والخلق ومراعات الحق وهم مسؤولون عن تقويم السلاطين سلطة الامة وكثيرا ما لازم القضاة الاعيان والسلاطين[3].

وكان السلطان صلاح الدين يجتمع مع القضاة والفقهاء في كل يوم اثنين وخميس للتشاور معهم، وامتازت ملابس القضاة والفقهاء بزي خاص يختلف عن غيريهم.

---

[1] رشا خليل، المرجع السابق، ص43.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م، ج7، ص180.

[3] ابن التغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، الجزء 6، ص9.

اما المحتسب فكان يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحياء السنن واماته البدع ناظرا فيما يقرب من الجنة ويبعد عن النار وكثرت مخالطته للناس في الاسواق والطرق تفقدا لأحوالهم وتحذيرا من الغش ومنعا التعامل بالربا والاحتكار بالسلاح وردعا للظالمين عن غيرهم[1].

وقد نال علماء الحديث اهتماما واضحا، فقد كان صلاح الدين الايوبي شديد الرغبة في سماع الحديث، وإذا سمع عن راو استقدمه وان كان من الرواة لا يطرق ابواب السلطان سعى اليه بنفسه وهذا يدل على مكانه علماء الحديث في هذا العصر[2].

اما القراء فقد برز منهم عبد الظاهر نشوان الامام رشيد الدين الجذامي، الشيخ القراء بالديار المصرية وابو اسحاق المازني المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم ان مصر أكثر البلاد عبادا وقراء.

وكان للخطباء تأثيرا من النوع الخاص وقد شكلت صلاة الجمعة وقتا مناسبا لمخاطبة قلوب وعقول الناس لما تطرقته من مواضيع تخصص همومهم كالحروب والغلاء وقضاياهم الاجتماعية، كما تناولت الدعوة للتابعين والسلاطين من سواهم، وتأتي خطبهم مسجوعة واستعانوا بالآيات القرآنية ومن الخطباء شمس الدين ابن الوزير ابو الضياء وكان خطيب الديار المصرية[3]. ومن فئات المجتمع أيضا الادباء والشعراء.

أما موظفو الدولة، فقد كان لهم دور مهم في الدولة الأيوبية وتمتعوا بمكانة خاصة رفيعة، ومنحت لهم اقطاعات، وكانت تدفع لهم رواتب تتفاوت من موظف لآخر وفق الترتيب الوظيفي في الدولة.[4]

[1] رشا خليل، المرجع السابق، ص47.
[2] ابن تغري بردى، المرجع السابق، ج6، ص9.
[3] رشا خليل، المرجع السابق، ص49.
[4] القلقشندي، المرجع السابق، ج4، ص 53.

ونظرا لكثرة الحروب وانتشار الأمراض والأوبئة بكثرة في العصر الأيوبي فقد ارتفع شأن الأطباء وكان السلاطين يهتمون بهم، وكان كثير منهم يعيشون في سعة من العيش ويتقاضون رواتب عالية، كما كان الأطباء يتميزون بلبس العمائم الكبيرة[1].

3-فئة التجار

كانت طبقة التجار من أحسن طبقات السكان حالا، وقد قرب بعض الحكام أغنياءهم ليمدوهم بالمال حين الحاجة اذ كان التجار يقرضون الدولة بكفالة للانفاق على الحرب.

كما اهتم الايوبيون بتنشيط التجارة في مصر وأدى ذلك الى كثرة الموانئ ولا سيما ميناء الاسكندرية الذي امتاز بموقعه التجاري وهو أقرب مصر فقد نال ميناء الاسكندرية اهتماما واضحا لدوره في التبادل التجاري حيث تنتقل البضائع من ايدي الشرقيين الى ايدي الغربيين وبالعكس[2].

وقد تبينت احوال التجار من تاجر لتاجر فقد عاش بعضهم في المستوى عالي من الترف واخرون عاشوا حياة بسيطة وقد شهدت التجارة بشكل عام تحولا واضحا فكثيرا منهم تحسنت اوضاعهم وبعضهم من فقد أمواله[3].

ثانيا-الطبقة العامة:

وتشمل هذه الطبقة الفلاحين والحرفيين والبدو والجند. وقد كان الفلاحون يشكلون الجزء الأكبر من هذه الفئة،[4] وامتلك الفلاحون في مصر بالإضافة الى الأراضي أنواعا مختلفة من الحيوانات كالحمير والبغال التي كانت تعينهم في حرث الأرض والنقل[5].

وقد تحسنت احوال الفلاحين بصفة عامة من خلال القيام صلاح الدين بإلغاء المكوس وتخفيف الضرائب لكن هذه الضرائب ما برحت أن عادت إليهم بصورة اخرى بعد صلاح الدين،

[1] رشا خليل، المرجع السابق، ص 51.
[2] المصدر نفسه، ص56.
[3] المصدر نفسه، ص 61.
[4] المقريزي، الخطط، ج2، ص138.
[5] رشا خليل ، المرجع السابق، ص68.

فضلا عن تعرضهم للغارات الصليبية، وشكل الفلاحون السواد الاعظم من الشعب وكان الفقر يغلب على بعضهم[1]

و كانت الاحوال المعيشية للصناع وأرباب المهن الحرة حسنة نسبيا وقد ازدهرت احوالهم في عهد صلاح الدين خلفائه حيث استقرت الامور نسبيا في البلاد وازدهار الصناعات ومن بين الصناعات التي اشتهرت بها مصر في ذلك العصر صناعة النسيج والصناعات الغذائية والمعدنية والصناعات الخشبية وقد كانت الاسواق تمثل مركزا اقتصاديا يتم فيه عرض السلع المصنعة ولم يقتصر دورها في هذا المجال بل تعدى ذلك ان يكون مركزا اجتماعيا يلتقي فيه الباعة مع العملاء ويتم تبادل الاحاديث والنوادر خاصه وان حوانيت تتصف بتلاصقها مع بعضها مما يفتح المجال للتفاعل الاجتماعي وامر اصحاب الحوانيت بوضع زبر من الماء امام كل حانوت لتفادي حدوث حريق[2].

ومثل البدو والجند فئة كبيرة في المجتمع الأيوبي. وكان الجند مكونا من جنود نظاميين وآخرين مساعدين يتقاضون أجرا مقابل الخدمات العسكرية التي يقدمونها.[3]

وقد أدى الجنود دورهم الاجتماعي من خلال مساهمتهم في بناء دور الفنادق والحمامات والأسواق والمؤسسات الاجتماعية في المنصورة وأعمال الحفر والبناء في مختلف الديار المصرية وقام العربان بدور فعال في احضار ونقل بعض المواد اللازمة في الصناعة.[4]

الرقيق:

كان الارقاء من الغلمان والجواري يشكلون احدى فئات السكان، فالرجال يستخدمون في الحراسة والخدمة والنساء يستخدمن في تربية الاولاد وخدمة البيوت وكان بعض هؤلاء المماليك يرقون الى مكانة الرفيعة لدى اسيادهم لإخلاصهم لهم وتفانيهم في خدمتهم[5]

[1] المقريزي، المواعظ، ج2، ص 138.
[2] رشا خليل، المرجع السابق، ص 71.
[3] أسمت غنيم، الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 131.
[4] رشا خليل، المرجع السابق، ص78.
[5] نفسه، ص 77 ، 76.

وسادت تجارة الرقيق وهم الذين احضروا الى الديار المصرية عن طريق التجار وكان يتم اخذ المكوس عن الرقيق من الجواري والعبيد وقد حول هذه التجارة الى قوه اجتماعية من خلال امتلاك العبيد فبعض هؤلاء كانوا خدما والبعض الاخر استخدموا في الاعمال التجارية وخاصة في تجارة التوابل وكانت تجار العبيد يحتفظون غالبا من يقوم بخدمتهم قبل ان يقوموا ببيعهم الى الأحرار[1].

كما ادت حروب المسلمين الى وقوع بعض المسلمين في الاسر وكان بعض السلاطين الاثرياء يفتحون أسرى المسلمين بأموالهم ويخلصوهم من اعدائهم[2].

وقد أثرى هذا التفاوت الطبقي في زمن الدولة الأيوبية حيث كان هناك شكل من التخصص في مجالات العمل والإنتاج مما جعل الدولة الأيوبية تستفيد من ميزة التخصص وتقسيم العمل وزيادة الإنتاج والإنتاجية.

[1] نجوى كمال كيره، المرجع السابق، ص435.

[2] رشا خليل، المرجع السابق، ص76.

الفصل الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية فيمصر خلال العصر الأيوبي

المبحث الأول: الزواج والأسرة

المبحث الثاني: العادات والتقاليد

المبحث الثالث: الأعياد والاحتفالات

المبحث الأول: الزواج والأسرة

الأسرة الأيوبية أسرة مسلمة تحكمها الشريعة والعادات والتقاليد المتعارف عليها في ذلك العصر،[1] ويعد الزواج من مظاهر الحياة الاجتماعية في المجتمع المصري، فهو أساس تكوين الأسرة والمحافظة على إستمراريتها وحمايتها من الرذائل والفواحش[2]، ويمر الزواج بمراحل عدة تحكمها العادات والتقاليد المتعارف عليها في المجتمع المصري لابد من الالتزام بها وتشبه أي فترة من الفترات السابقة واللاحقة لأنها حلقة من ضمن الحلقات المتواصلة الى يومنا هذا[3].

1-الخطبة :

وهي أول مراحل الزواج، والخطبة في الاسرة الحاكمة تختلف الى حد ما عن عامة السكان، وهي عند العامة حسب الوضع الاجتماعي والاقتصادي، وقد تباينت الخطبة عند الطبقة الخاصة عنها عند الطبقة العامة، فكانت الفتاة في الأسرة الحاكمة لا تحتاج لأن توصف للرجل ليقوم بخطبتها أو تذهب بعض النساء لرؤيتها اذ أن اختيارها يكون بناء على حسبها ونسبها، فيقوم والد الشاب بخطبة الفتاة من وليها أو إرسال من ينوب عنه، ثم يقرر والدها بالقبول أو الرفض بعد عرض الأمر عليها.[4]

ففي (سنة 590هـ/1193) أرسل الملك العزيز كبراء دولته طالبا بمصاهرة عمه العادل الكبير فزوجه إبنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي صلاح الدين صاحب حلب القاضي بهاء الدين بن شداد لخطبة ابنة الملك العزيز على الخاتون إبنة الملك الكامل.[5]

أما عند عامة السكان فكانت البنت لا تخرج كثيرا لذلك كان لابد من مساعدة النساء التي تقوم بهذا الدور، وكان طالب الزواج يقوم بإرسال النساء ليقمن بنقد الفتاة والتحري في صفاتها وقد وجد

[1] سناء أحمد فلاح القضاة، المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه الفلسفة في التاريخ الإسلامي، اشراف الأستاذ محمد عيسى صالحية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 2007م، ص 32.

[2] رشا خليل أحمد علي، الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، إشراف الأستاذ محمد خريسات، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، 2010م، ص 115.

[3] سناء أحمد فلاح، المرجع السابق، ص32.

[4] المصدر نفسه، ص32.

[5] رشا خليل، المرجع السابق، ص115.

في المجتمع المصري كنظيره من المجتمعات الأخرى الخاطبة وهي تتردد على البيوت كوسيط لاختيار العروس وتسهل الخاطبة مهمة الخطبة بما تبديه للطرفين من إعجاب ومبالغة في ذكر محاسن كلا الطرفين، وقد يكون هذا الأمر من باب التوفيق بينهما، وكانت الخاطبة تحصل على مبالغ من المال من كلا الطرفين، فضلا عن الهدايا التي تنالها منهم وفي كثير من الأحيان تجد النساء مناسبات الأفراح فرصة لانتقاء الفتيات وخطبتهن، ولجأت بعض النساء الى الذهاب الى الحمامات لاختيار العروس، حيث تكون الفتيات هناك بكثرة وتكون فرصة الانتقاء كبيرة.[1]

2 الصداق

كان هناك اختلاف واضح بين صداق[2] بنات السلاطين والملوك وغيرهن من بنات العامة، فعند العامة يدفع العريس جزءا من المهر (المقدم) ويسدد الباقي على أقساط، وكان يحدد في عقد الزواج السنوات التي يدفع في الزوج المؤخر، اما قيمة الصداق علية القوم فقد تفاوتت عند طبقة ذاتها، فمنهم من بلغت قيمة الصداق عنده ألف دينار، ومنهم من بالغ في قيمة الصداق، فكان صداق الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل عندما تزوجها الملك العزيز خمسين الف دينا، وكان صداق غازية ختون عندما عقد قرانها على السلطان غياث الدين كيخسرو مئة ألف درهم.[3]

3 العقد الزواج وحفلات الأفراح:

والعقد لغة هو الضمان والعهد، وقد اهتم الأيوبيين بعقد الزواج اهتماما كبير وأولوه عناية خاصة، وكانت له مراسم لا تقل أهمية عن مراسيم الزفاف وخاصة في البيت الحاكم لدرجة المبالغة به[4].

ويعد عقد القران مرحلة تالية للخطبة، ويبرز عقد القران أسماء الزوجين، وقيمة الصداق المؤجل والمعجل، وأسماء الشهود على العقد، كما يتضمن شروطا معينة تتعلق إما بالزوجة أو الزوج وفي الغالب تكون هذه الشروط عامة، كأن يتقي الزوج الله في زوجته، ويحسن صحبتها بالمعروف، كما

[1] المرجع نفسه، ص116

[2] الصداق: ويقال الصدقة والصدقة وهو مهر المرأة.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص356.

[4] سناء أحمد فلاح، المرجع السابق، ص 40.

يتضمن العقد أن تكون العروس بالغا، وان تكون صيغة العقد واضحة لا لبس فيها ويتم عقد القران في القصر عند الطبقة الحاكمة في القصر أو في القلعة، أما عامة الناس فيتم العقد في المسجد أو في منزل والد العروس[1].

وقد تضمن العقد بعض الشروط مثل أن لا يشرب الخاطب الخمر، وان لا تغير الذمية دينها، وغيرها من الشروط، وكان على المشروط الالتزام لأن معظم العقود لها كتب مسجلة.

واهتم الأيوبيون بعقد الزواج وبالحفلات عند الزفاف، ووصلت الى حد المبالغة في بعض الأحيان، وبالطبع كان ذلك عند الملوك والسلاطين، ولا يوجد وجه مقارنة بينهما وبين حفلات العامة التي لا تكاد تذكر في المصادر، وهذا لعدم الاهتمام بهذا الموضوع ولأنه لم يكن هناك ما يلفت الانتباه.[2]

ويتم الاحتفال بالزواج وذلك بتحديد موعد الزفاف، ويتم في هذا اليوم تجهيز العروس، فمهما كانت العروس من العوام اومن علية القوم فإنها تسعى لان تكون متميزة في مثل هذا اليوم.

وفي اليوم الذي يتحدد فيه الزفاف يكون الاستعداد له امرا مهما فقد يستمر عدة أيام وتتراوح بين ثلاثة أيام الى سبعة أيام، وغالبا ما يتم اختيار يوم الجمعة ليكون الوقت المناسب لحفل الزفاف، تبركا بهذا اليوم ولان الناس تجتمع فيه ويختارون اخر نهار لما فيه من الهدوء وسكون، ويفضلون الزواج في شهر هتور القبطي يعادل شهر تشرين الثاني) وهو الشهر الذي يظنون أنه يذم فيه كل شيء يراد إنقلابه ويبغضون الزواج في شهر بابه يعادل شهر تشرين الأول حيث يظنون أنه يذم كل شيء يراد ثباته.[3]

وكان الاحتفال بالزفاف عند علية القوم يتم في القصر أو ينصبون الخيام ويزينونها، وقد وجدت خيمة الفرح في العصر الفاطمي، أما العامة فقد يقام حفل الزفاف في منزل والد العريس أو يستأجرون

[1] رشا خليل، المرجع السابق، ص120.

[2] سناء احمد، المرجع السابق، ص 41-42.

[3] المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية ، بيروت،1047هـ/1987م، ج2، ص 159

دارا لإقامة الفرح فيها، وقد وجدت دور خصصت للأفراح، وهي ملك للأفراد لكن الدولة تشرف عليها، حيث فرضت عليها الضرائب وتستحق من مالك الدار.[1]

وقد أولى الأيوبيون مناسبات الافراح اهتماما خاصا، وقاموا بعمل أماكن خاصة تقام بها تلك المناسبات، فمن ضمن منشآت الايوبيين كانت هناك دار تسمى دار الفرح، وكانت هذه الدار وقفا على المناسبات والأفراح والأعراس[2].

وفي أثناء حفل الزفاف يتم دعوة المدعوين إلى الوليمة وقد بالغ السلاطين والأمراء في وليمة العرس، حيث احتوت على أصناف متعددة من الأطعمة والمشروبات، وتكون وليمة النساء في بيت العروس، ووليمة الرجال في بيت العريس وتقدم أصناف من الحلوى التي يزين على وجهها بقوالب من خشب فيرسمون الشكل الذي يريدون أو يكتبون على وجه الحلوى بها ،وهذا النوع يختص بالأعراس والدعوات ،أما العامة فيقدمون نوعا من الحلوى تصنع من اللوز أو الفستق الملبس بالسكر[3]

5 تعدد الزوجات:

سادت ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع المصري، ولم تختص به طبقة دون غيرها، ومن الأسباب التي أدت إلى ذلك حبهم للذرية، والمجتمع الزراعي وكثرة أعمال الزوجة، والعجيب أن المرأة كانت تعرض على زوجها الزواج من أخرى، خاصة في مجتمع الفلاحين إذ أردت أن تعينها في عملها، مع أن النساء كن لا يقبلن أن يتزوج الزوج عليها فتعد ذلك انتقاصا لها ،فكن يلجأن للذهاب إلى العرفات لسحر الأزواج كما يعتقدن ،مع أن السحر يعود بفساد الأحوال والنفوس.[4]

الاسرة

شكل الأب أساس الأسرة وعمادها، فهو الذي يتولى النفقة على الأسرة، وقد اعتاد أن يقضي معظم نهاره خارج المنزل، كما ينال الاحترام والطاعة من قبل الزوجة والأبناء، ولا يحق للأبناء اعتراض

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص101.100

[2] سناء أحمد، المرجع السابق، ص48.

[3] رشا خليل، المرجع السابق، ص129.

[4] رشا خليل، المرجع السابق، ص 132

سلطته، ويدعى بأبي فلان وتسعى الأسرة للحفاظ على أسمائها المتوارثة جيلا بعد جيل، وبلغ اهتمام الأسرة بالأب درجة جعلت الزوجة والأبناء لا يشاركون رب الأسرة الأكل من وعاء واحد [1].

أما الزوجة فهي بحاجة دائما الى توجيه الزوج، وإدراك حقيقة وظيفتها التي تتجلى بالقيام بأعمال المنزل والخروج الى الأسواق ان لزم الأمر والاعتناء بالأبناء، وتسعى الزوجة للاهتمام بنفسها فتتزين لزوجها.

ومهما يكن فعن غيرة الرجل على زوجته ومحارمه تعد أمرا طبيعيا في المجتمع المسلم، وتبدو مظاهر الغيرة من خلال ما تلبسه المرأة من ملابس تخفي محاسنها كالبرقع والخمار وغيرها.[2]

أما الأبناء فيبدو الاهتمام بهم واضحا من خلال ما يقام لهم من احتفالات بالولادة والختان ،وحينما يبلغ الطفل الرابعة والخامسة من عمره يقوم اهله بوضعه عند مؤدب ،وان كانت انثى وضعوها عند الشيخة أو المؤدبة، ليقوموا بتعليم الأبناء وتأديبهم ،وتسعى الأسرة إلى ان تكون تربية الأبناء تربية صالحة ،فيكون هم الأسرة أن يشتغل ابنها بحفظ القران الكريم ، ومعرفة الوضوء والصلاة والصوم، وبعض النساء لجأت الى تشجيع الطفل منذ صغره على الصوم بتقديم الحلوى التي يفطر عليها ،وتحثه على معرفة الحديث والتشاغل بالعلم ،ووجوب حمد الله بعد الطعام والشراب وعلى كل شيء ،وتعويدهم على الجرأة والشجاعة.

وعندما يشب الطفل قليلا حتى يرافق والده ويكتسب منه الأطباع الحسنة، فيصطحب الأب ولده في المناسبات، سواء أكانت أفراحا أم أتراحا، ويرافقه إلى المسجد، كما يأخذه في رحلاته ولم يكن هذا حكرا على الطبقة العامة ،فكان علية القوم يصطحبون أبنائهم في رحلات صيدهم وفي سفرهم [3]

وبشكل عام فإن الأسرة تسعى لان يكون الأبناء البارين بوالديهم غير عاقين أن يحسنوا إليهم.

وشاركت النساء في العصر الأيوبي في الحياة العامة، فكان من النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أم رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف [4]

---

[1] المصدر نفسه، ص165.

[2] رشا خليل، المرجع السابق، ص166.

[3] المصدر نفسه، ص166

[4] رشا خليل، المرجع السابق، ص167.

المبحث الثاني: الأعياد والاحتفالات

جاءت الدولة الأيوبية من الناحية الزمنية بين دولتين اتصفتا بالبذخ وامتازت الحياة الاجتماعية فيهما بالإسراف والمبالغة في إحياء الحفلات هما الدولة الفاطمية والدولة المماليكية، ولكن دولة الأيوبيين أحاطت بنشأتها ظروف غير الظروف التي أحاطت بالدولة السابقة لها أو اللاحقة بها[1]، إذ ولدت الدولة الأيوبية في وقت كان الصليبيون بالشام أشد ما يكونون قوة وعنفا ،حتى هدد خطرهم بابتلاع البلدان العربية ليس في الشام فحسب، بل أيضا في مصر والحجاز لذلك لم تكن هناك فرصة أمام الأيوبيين ليحوا حياة اجتماعية مترفة، إذ غلبت فكرة الحرب على السلاطين[2]، وتغلبت عقيدة الجهاد على أحاسيس الناس ومشاعرهم، مما لم يترك مجالا للتوسع في الاحتفالات وحياة الترف، وإذا توافر الوقت أحيانا في العصر الأيوبي لترف فإن المال لم يتوافر عندئذ لأن حراسة القوافل وتحصين المدن والقلاع إعداد الجيوش وبناء السفن والأساطيل، كل ذلك كان كفيلا بأن يستنفذ كل درهم في خزانة السلاطين بني أيوب ، حيث كان أول ما اهتم به صلاح الدين الأيوبي في الدور الأول من أدوار سلطته هو بناء قلعة الجبل وبناء سور القاهرة، وتحصين الثغور[3]

وليس معنى ذلك أن الحياة الاجتماعية في مصر على زمن الأيوبيين صارت مجدبة كل الجدب، خشنة كل الخشونة، اذ أن الايوبيين حافظوا على إحياء الأعياد الدينية ،بل وغير الدينية ،ولكن في غير إسراف وبدون تهتك.[4]

فالمقريزي عندما يشير إلى بعض الاحتفالات في العصر الأيوبي لا يتعرض لألوان الإباحية والمنكرات التي انتقدها في مرارة عند كلامه عن الاحتفالات في العصرين الفاطمي والمماليكي، ذلك أن الأيوبيين اقتصدوا في الحفلات وألغوا بعض ما ارتبط منها بأعياد الشيعة [5]،في حين حوروا البعض الآخر بما يتفق وتحول البلاد من المذهب الشيعي إلى المذهب السني .من ذلك مثلا أن العاشر من محرم وهو يوم

[1] عرب حسين دعكور، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضاراتهم،بيروت،2010م، ص303

[2] المصدر نفسه، ص314.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور ،مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، النهضة العربية ،بيروت ،1972،ص132.

[4] المرجع نفسه، ص 132

[5] المقريزي، السلوك، ج1، ص136

عاشوراء كان يوم حزن عند الفاطميين تغلق فيه الأسواق ، فجعله الأيوبيين يوم فرح يوسعون فيه على عيالهم ويصنعون فيه الحلوى ويطبخون الحبوب [1]، ومع أن هذا التغير لم يتم بسهولة ،إذ لقي السلاطين والأمراء الأيوبيين في سبيل ذلك العناء والمشقة، ويعود هذا للظروف والأحوال التي مرت بها الدولة الأيوبية من مواجهة الخطر الصليبي من جهة، إضافة إلى حدوث المجاعات والزلازل التي توالت في ذلك العصر[2].

وهكذا اشهدت مصر في العصر الأيوبي اهتماما بإحياء الأعياد والحفلات، ولكن مع مراعاة الاقتصاد، ومن هذه المناسبات الدينية عيدي الفطر والأضحى، وإقامة المولد النبوي الشريف، وكان السلاطين والملوك يبذولون في سبيل إحياء هذه الأعياد أموالا كثيرة، ويمدون فيها الأسمطة للفقراء والمساكين[3].

عيد الفطر

وهو العيد الذي يتبع شهر رمضان، ويلتقي الناس ويتصافحون في صلاة العيد، وهو كنظيره من الأعياد يرافقه شراء الملابس الجديدة، وإعداد الكعك المحشو بالعجوة، من أهم مظاهر الاحتفال بعيد الفطر في مصر وغيرها، الذي تصنعه النساء في أواخر الشهر الكريم، واعتادت النساء أن تتهادى أطباق الكعك فتقوم كل واحدة بتبادل هذه الأطباق والتفنن في صناعته.[4]

وشاع التكلف في هذه المناسبات وذلك بمهاداة الأقارب والأصهار، خاصة إذ كانت المصاهرة جديدة، أو لم يدخل بالزوجة بعد ،فالنسوة يكلفن أزواجهن بهذه التكاليف التي أحدثوها. وتقدما لأسمطة التي تحوي أصنافا من الحلوى والأطعمة الفاخرة، وتقوم النساء فيه بزيارة القبور، وتعوج الأسواق بالأطفال الذين يسيرون في الشوارع والطرقات حاملين الدفوف ويقبلون على منازل الأغنياء

[1] عبد اللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر ، العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص59.
[2] رشا خليل، المرجع السابق، ص96.
[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص47.
[4] رشا خليل، المرجع السابق، ص 97

لينالوا بعض النقود [1] وتنوعت مظاهر فرحة المصريين بالعيد في مدن مصر وريفها رغم أن لكل إقليم في مصر عادات يحتفلون بها إلا أنه ثمة قواسم مشتركة في الريف المصري والمدن، كحرص المصريين على التزاور وتناول الطعام وسط تجمعات عائلية.[2]

عيد الأضحى

يعد عيد الأضحى من أعظم أعياد المسلمين ومواسمهم، حيث ارتبط بفريضة الحج ،كما ارتبط بسنة مؤكدة تمثلت بالنحر، ويرافق هذا العيد استعدادات تتمثل في تجهيز ملابس العيد خاصة الأطفال، وترتيب المنازل وتجهيز أنواع الحلوى حيث تكثر الزيارات في الأعياد ،ويكون تجمع الناس والتقاؤهم في صلاة العيد، وتضاء المساجد بالمصابيح ذات الألوان المتعددة ويقومون بتزيين منازل الحجاج احتفاء بقدومهم من بيت الله الحرام ،ويبادر الناس بتوزيع اللحم في هذا العيد[3] .

شهر رمضان

يتم الاحتفال بشهر رمضان المبارك من خلال رؤية الهلال، ولهذا الشهر حرمة خاصة ،ولاستقبال هذا الشهر وإحياء لياليه احتفالات مشهورة لاتزال أثارها واضحة في الشعب المصري حتى اليوم، وتختلف مراسم الاحتفال بشهر رمضان عنها في العيدين ،ففي هذا الشهر الفضيل يحذر من بيع الخمر وتزين الأسواق والبيوت بالفوانيس ويجري توزيع السكر والحلوى في شهر رمضان على الأمراء والجنود والعامة .[4]

ومن الحلوى التي اختصت بشهر رمضان القطائف[5]، والطيافير[6]، واعتادت الاسر في شهر رمضان أن يتهادوا أطباق الطعان فيما بينهم.

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى ج3، ص602 .603.

[2] رشا خليل، المرجع السابق، ص98.

[3] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص589.

[4] المصدر نفسه، ص583.

[5] القطائف، وهي عجينة تحشى بالوز أو الفستق أو الجوز، وتقلى أو تخبز وتغمس في العسل وترفع .

[6] الطيافير، هي حلوى تصنع في شهر رمضان خاصة وهي من الطفر، وهي وثبة في ارتفاع وسميت بذلك لأنها تنتفخ وترتفع فجأة

وفي هذا الشهر تكثر الخيرات من خلال الصدقات التي يتصدق بها السلاطين والأمراء والأثرياء على الفقراء وكانت الاسرة تحث الطفل على الصيام، حتى أن البعض لجأ في أول يوم يصومه الطفل بإعداد أنواع من الحلوى يفطر عليها تشجيعا على ذلك[1].

المولد النبوي الشريف

احتفل المسلمون في مصر بإحياء المولد النبوي وأصبح الاحتفال بهذه الذكرى عند عامة الناس سنة واجبة وكان من عادة النساء أن يلبسن أحسن الثياب ويخرجن بكامل الزينة وترافقهن الات الموسيقا والطرب، ووجدت نساء ينشدن في الموالد والمناسبات الدينية ويرافق ذلك التهليل والتكبير، وجرت العادة أن يعمل في دار الفطرة أصناف من الحلوى وتفرق بهذه المناسبة [2].

يوم عاشوراء

يصادف يوم عاشوراء العاشر من شهر محرم، وهو اليوم الذي استشهد فيه الحسين بن علي، وقد اعتاد الفاطميون اتخاذ هذا اليوم يوم حزن ،فكانت تغلق الدكاكين وتعطل الأسواق لكن مع العصر الأيوبي تغيرت طريقة الاحتفال بهذا اليوم اذ أصبح يوم فرح وسرور، اذ تصنع فيه أفخر أنواع الحلوى والاطعمة، واستمر هذا الاحتفال بهذا اليوم متبعا في العصور التالية، حيث يتم فيه التوسعة على الأهل والأقارب ومن العادات الدارجة يوم عاشوراء اتخاذ الاواني الجديدة ،واستعمال الحناء والبخور حماية لهن من العين والحسد.[3]

الاحتفالات الحربية

كانت الاحتفالات في الدولة الأيوبية تأخذ مسارا اخر يختلف عن الدولة الفاطمية، وذلك من خلال مرافقتها للحروب الصليبية، وما كان يجري أثر تحقيق انتصار ضد الفرنج فتقام البشائر البلاد

[1] رشا خليل ،الحياة الاجتماعية ،ص 101.
[2] القلقشندي ،المرجع السابق ،ج3،ص576.
[3] المقريزي ،المواعظ،ج2،ص595.

ويمد السماط فتنال طبقات المجتمع منها، فيكون هذا اليوم يوم فرح وسرور[1]، وكان للحروب الصليبية أثرها في عدم المبالغة في الاحتفالات الأخرى نتيجة لانشغال الدولة بمواجهة الخطر، ومن هذه الاحتفالات ملك السلطان صلاح الدين مدينة دمشق سنة (570هـ/1174م) حيث التقاه أهل دمشق ولم يغلق في وجهه باب[2].

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص67

[2] ابن الأثير ،الكامل، ج6،ص65.66.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

الولادة :اهتمت الأسرة المصرية بالمولود ،ويبدأ هذا الاهتمام وهو في بطن أمه، فإن علمت المرأة بحملها بادرت إلى اتباع تعليمات متوارثة ،فتتجنب حمل الثقيل وركوب الدواب والمشي الكثير ،وتبتعد عن شرب المشروبات التي لها علاقة بإجهاضها، كالقرفة[1]والكراويا[2] ويسعون لتلبية رغبات الحامل ،بما تشتهيه وتقوم الحامل بتجهيز لوازم المولود من كسوة. إذا قاربت على الولادة تستدعي القابلة والتي تسمى الداية وكان لكل أسرة قابلة تشرف على النساء وولادتهن، وتكون القابلة سيدة كبيرة في السن ذات خبرة بالنساء وأحوالهن، وتكون معروفة في المجتمع ليتسنى لها دخول البيوت.[3]

ووقت الولادة تقوم القابلة بإعطاء النصائح التي تسهل الولادة على الأم الحامل كأن تشرب من منقوع نبات الأشنة[4]الذي يسهل عملية الولادة.

بعد مضي أسبوع على الولادة تحتفل الأسرة بالمولود الجديد ويسمى هذا في التقليد المصري السبوع حيث يوضع المولود محمولا في المهد، ويوضع عند رأسه ليلا الختمة واللوح والدواة والقلم ورغيف الخبز ،وقطعة من السكر، وفي يوم السبوع يفرق كل هذا ظنا منهم أن من أخذ منه نال البركة[5]،ويحضر هذا الاحتفال الأطفال وتفرق الشموع عليهم ،وتنشد القابلة بعض الأناشيد المتعارف عليها في المجتمع ،مفادها أن يكون الطفل بارا بوالديه وأن يحي حياة سعيدة ،وتحمل القابلة الطفل وتدور بيه وتأخذ بعضهن الملح ويقمن بنثره في البيت يمينا ويسارا حماية له من الحسد.[6]

واعتادت النساء تقديم الهدايا للأم وقد تكون نقودا، وقد تكون بعض الهدايا قماشا أو حلوى، وضمن الاحتفال تقدم أصناف من الطعام والحلوى وأشهرها العصيدة.[7]

---

[1] القرفة: وهو قشر شجرة يجلب من الهند وعيدانه طوال شديدة طيب الطعم والرائحة وفي طعمه تخدر اللسان .

[2] الكراويا :بذور نبات تطرد الرياح،وطبخ هذا النبات وبذره اذا شربا أدارا البول وسكنا المغص

[3] رشا إبراهيم، المرجع السابق، ص168.

[4] الأشنة: نبات أبيض طيب الرائحة وله قوة مسخنة حادة إذا دق ونقع وسخن للنساء اللواتي عرض لهن نزف الدم.

[5] رشا إبراهيم، المرجع السابق، ص170.

[6] المسعودي، المرجع السابق، ج2، ص159

[7] العصيدة: هو دقيق يبل بالسمن ويطبخ

وكانت الطبقة الحاكمة تقيم احتفالات كبيرة ويبالغون بالأطعمة والأشربة التي يقدمونها واتخذت التهنئة بالمولود الجديد شكل خطابات رسمية[1] ،ومن عادة علية القوم اذا ولد لهم مولود اجتمعت سائر نساء الدولة ،ففي ولادة الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب سنة (610هـ /1213م) تزينت حلب ،فصيغت له عشرة مهود من الذهب والفضة ونسج للطفل ثلاث فرحيات من اللؤلؤ والياقوت ودرعان وخوذتان وغير ذلك، وثلاثة سروج مجوهرة وثلاثة سيوف غلفها بالذهب والياقوت ودرعان وخوذتان وغير ذلك، وثلاثة سيوف غلفها بالذهب والياقوت ورماح أسنتها جوهر منظوم وفرحوا بذلك فرحا زائدا[2]

المآتم:

اختلفت طقوس المآتم من طبقة إلى أخرى تبعا لمستوى المعيشة، مع أن المآتم بشكل عام لها تراتيب اجتماعية مشتركة، فالميت يغسل وقد وجد من يتولى هذه المهمة وهم الغواسل[3]، أما ان كانت الميتة امرأة فهناك الغاسلة، ويأخذ الغواسل ثياب المتوفى وإذا كان المتوفى من علية القوم حصل الغواسل على مبلغ كبير وعلى ثياب الميت الثمينة ،وبعد الغسل يكفن ويوضع في تابوت ،ويحمل الكفن ويصلي على الميت في المسجد ،ويدفن في المقبرة وإن كان الميت من علية القوم أقيم حول قبره بنيان حوله قبة ،ومن ذلك قبة الصالح[4]

وكان التعبير عن الحزن في المآتم يرافقه وضع التراب على الرؤوس والبكاء والنحيب وخروج الناس حفاة مخرقين الثياب وشق الثياب ونشر النساء شعورهن، واعتادت النساء قول الشعر في المتوفى، ولم يكن هذا حكرا على النساء فقد قطع المماليك شعورهم عند الوفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب[5].

[1] القلقشندي ،صبح الأعشى، ج9،ص63.

[2] الدوداري ،كنز الدرر، ج7،ص176

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص158.

[4] قبة الصالح :وهي بجوار المدرسة الصالحية بنتها عصمة الدين والدة الخليل شجر الدر لأجل مولاها الملك الصالح نجم الدين أيوب أيوب عندما مات

[5] المقريزي، المواعظ، ج2، ص493.

أما الملابس التي تلبس في المآتم فهناك نوع من الملابس يسمى السلاب، وهي ثياب سود تلبسها النساء في المآتم دلالة على الحزن.

الأمثال

تعبر الأمثال[1] عن مظاهر الحياة الإجتماعية ، ويتداولها الجميع بصورة عامة أيا كانت طبيعتهم في المجتمع ،فهي تمثل المجتمع المصري وتتفق مع القيم السائدة في المجتمع [2]

ومن الأمثال التي شاعت في المجتمع المصري:

إيش تعمل الماشطة في الوجه المشؤوم

ويصف هذا المثل أن الجمال في الطبع، حيث أن الماشطة وهي التي تختص بتجميل النساء، لا تستطيع تحسين الوجه القبيح

للحيطان آذان:

ويضرب هذا المثل في كتمان السر.

وقد تأثر المجتمع المصري بالأمثال إلى حد شمل الظروف الطبيعية والأحوال المناخية التي أثرت في المجتمع ومن هذه الأمثال: هتور أبو الذهب المنثور وهنا إشارة الى الشهر القبطي هتور الذي يكثر فيه انتاج القمح[3].

الطرائف والحكم

تمثل الطرائف والنكات في مصر في العصر الأيوبي أحد مظاهر الحياة الاجتماعية فيه، فكان هناك طرائف ونكات تتحدث عن الأغبياء والسخفاء

[1] الأمثال: ومفردها مثل ، وهو قول موجز يمتاز بقصره ويتداوله الناس بكثرة في مواقف تشبهه لتدل عليه وهو الشي الذي يضرب لشيء فيجعله مثله

[2] رشا خليل، المصدر السابق، ص176.

[3] رشا خليل، الحياة الاجتماعية ،ص177.

وأدت حالة الصراع بين المسلمين والصليبيين إلي ظهور مجموعة من الطرائف والنكات عند المسلمين تشنع الصلبيين وتسخر منهم وتتحدث عن غبائهم وسخفهم[1]،ومن الأمثلة أنه كان عندهم في بلادهم فارس كبير القدر فمرض وأشرف على الموت، فجاؤوا إلى قس كبير من قسوسهم قالوا: "تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلانا ؟"قال "نعم"، ومشى معهم وهم متحققون أنه اذا حط يده عليه عوفي، فلما رآه "قال أعطوني شمعا" ،فأحضروا قليل من الشمع ،فلينه وعمله مثل عقد الإصبع، وعمل كل واحدة في جانب أنفه فمات الفارس، فقالوا له "قد مات" قال: نعم ،كان يتعذب سددت أنفه حتى يموت ويستريح [2].

وهناك طرائف ونكات سببها الصراع بين رجال الدولة وتمثل الصراع بين المدنيين والعسكريين فالمدنيون يشنعون على العسكريين ويسخرون منهم ويتحدثون عن غبائهم وسخفهم، وكثيرة هي الطرائف والنكات التي تتحدث عن غبائهم وسخفهم في مجالات كثيرة كالطب والقضاء [3]

[1] رشا خليل، المصدر نفسه، ص178.

[2] المرجع نفسه،ص180

[3] رشا خليل ، المصدر نفسه، ص180.

الفصل الثالث: تأثير المجتمع المصري على الحياة العلمية في مصر خلال العصر الأيوبي

المبحث الأول: دور المجتمع في التربية والتعليم

المبحث الثاني: بناء المدارس والمكتبات في العصر الأيوبي

المبحث الثالث: التنشئة الاجتماعية وأثرها على الحياة العلمية

المبحث الأول: دور المجتمع في العلم والتعليم

ازدهرت الحياة العلمية والأدبية في هذا العصر، فكانت امتداد للنهضة العلمية في العصر العباسي، على الرغم من الأحداث الكبرى التي دهمت العالم الإسلامي آنذاك، والتي كانت عاملا من عوامل النهضة العلمية والأدبية لانصراف العلماء والأدباء للتحفيز على المقاومة وبيان فضل الجهاد.[1]

وقد عرف العصر الأيوبي بكونه عصر جهاد مقدس، لذا فقد انعكست الأوضاع السياسية والعسكرية على الفكر والثقافة والشعر والأدب، وكان صلاح الدين نفسه متذوقا للشعر يميز الجيد منه والردئ كذلك كان أخوه العادل أبو بكر الذي مال الى عدد كبير من العلماء، منهم العالم الفيلسوف فخر الدين الرازي الذي صنف له بعض الكتب وأرسلها له من خرسان.[2]

والى جانب الملوك والأمراء فقد اهتم الوزراء والكتاب والقضاة في العصر الأيوبي بالعلم والثقافة، وبرز منهم عدد من المؤرخين فالقاضي الفاضل أبو على محى الدين اللخمي (ت 596هـ) وزير صلاح الدين ومؤرخه الحربى وصاحب المصنفات الأدبية والتاريخية العديدة مثل كتاب دولة آل سلجوق، البرق الشامي وخريدة القصر وجريدة العصر، والفتح القسي في الفتح القدسي، والمؤرخ بهاء الدين بن شداد(ت 692هـ)

صاحب كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية الذي تناول سيرة وتاريخ صلاح الدين، والأديب ضياء الدين بن الأثير المتوفي سنة 628هـ/1238م وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين ألف كتبا عديدة في البلاغة والبيان، والمؤرخ عز الدين بن الأثير(ت630هـ/1232م) صاحب كتاب الكامل في التاريخ، والمؤرخ شهاب الدين أبو شامة (ت665هـ/1267م) صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وما وقع من الحروب الصليبية، وغيرهم [3].

[1] ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة ،ج6،ص56.

[2] سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص213.

[3] عرب دعكور، المرجع السابق،ص282.

ومن العوامل التي ساهمت في تطور الحياة العلمية في المجتمع المصري عوامل خارجية وأخرى داخلية، أما العوامل الخارجية فتتلخص في الغزو التتري الذي أتى على الإرث العلمي والحضاري الذي كانت تتميز به الأمة الإسلامية في بلاد الشرق وعلى الأخص بغداد، مما أدى الى هجرة العلماء الذين نجوا بأرواحهم الى مصر والشام ليسهموا بالنهضة العلمية، أما في المغرب فهناك كارثة أخرى حيث انقسمت الأندلس الى دويلات، فاحتل العدو كثيرا من بلدانها مما أدى الى هجرة الكثير من العلماء الى مصرو الشام، منهم ابن مالك وابن دحية، وابن حيان[1].

أما العوامل الداخلية تتركز في اهتمام بني أيوب بالأدباء والعلماء، وتشجيعهم، وانزالهم المنزلة الرفيعة التي تليق بهم، فقد كان صلاح الدين يكرم من يرد عليه من المشايخ وأرباب العلم والفضل وذوي الأقدار، ولم يقتصر على صلاح الدين الايوبي بل وتعداه الى معظم السلاطين الأيوبيين فالملك العادل أخو السلطان صلاح الدين كان شديد الحب والاهتمام بهم، وكان سلاطنة الأيوبيين يشاركون مشاركة فعلية في العلم والأدب ويصنفون فيهما[2]، وكان من أهم مبادئ السياسة الأيوبية الداخلية والخارجية القضاء على النفوذ الشيعي في البلاد، ولتحقيق هذا الهدف شجع سلاطين بني أيوب تعاليم السنة وراعوا الفقه السني والمذاهب السنية وأنفقوا على تعليمها بسخاء لا نظير له وظهر ذلك ماديا بتشييد المدارس السنية المختلفة، ودور الحديث والربط والخنقاوات للعلماء ورجال الصوفية وسرعان ما أصبحت المساجد، بالإضافة الى المدارس ودور العلم، من أهم المراكز الثقافية في بلاد الشام ومصر.[3]

[1] فتحي محمد الشيخ أحمد، فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، اشراف: سعود محمود عبد الجابر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، 2015م،ص 43.

[2] نفسه، ص44.

[3] سحر السيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص220.

ومما ذكرناه لا يمثل إلا القليل من المواقف والأحداث التي تدل على انشغال سلاطين الأيوبيين بالعلم وتشجيعهم له، الأمر الذي كان الأثر الكبير في تطور الحياة العلمية والأدبية وازدهارها، وقد عم هذا الازدهار جميع مجالات الحياة، نذكر منها[1]:

أولا: المجال الأدبي اللغوي

تثقف الأيوبيين بالثقافة العربية رغم كونهم أكرادا، فقد نشأوا نشأة عربية خالصة وامتزجوا بها ولذلك فقد شغفوا باللغة العربية وآدابها وعلومها وقربوا اليهم الشعراء والعلماء والكتاب وشملوهم بعطفهم. وقد عرف العصر الأيوبي بكونه عصر جهاد مقدس، لذا انعكست الأوضاع السياسية والعسكرية على الفكر والثقافة والشعر والأدب،[2] مما ساعد على وجود نهضة أدبية واسعة شملت النثر والشعر، وجسدت الحوادث الجسام التي حفزت الأدباء على التعبير وقد ازدهر الشعر في هذا العصر.

ثانيا: مجال العلوم والمعارف

وهذا المجال واسع جدا، اذ يشمل العلوم الدينية واللغوية والطبية والرياضية والطبيعية، فحرص الأيوبيين على العلم وتكريمهم العلماء وكان القرآن موضع عناية فائقة لديهم، وكان السلطان صلاح الدين يستقرئ من يحضره بالليل الحزبين والثلاثة والأربعة وهو يسمع.[3]

كما لقي الحديث النبوي الشريف اهتماما كبيرا حيث يذكر السيوطي أن صلاح الدين رحل بولديه الأفضل والعزيز لسماع الحديث من الحافظ السلفي، وكان الملك الكامل محبا للحديث وأهله حريصا على حفظه ونقله، أما الفقه فقد حظي باهتمام السلاطين والأمراء.

[1] فتحي محمد، المرجع السابق، ص44.
[2] سحر السيد، المرجع السابق ص213.
[3] ابن شداد، المرجع السابق، ص36.

وازدهرت العلوم التاريخية والاجتماعية، وتنوعت التصانيف سواء في التاريخ العام أو التاريخ الخاص بالبلدان والسير أو الطبقات أو الوفيات، كما اهتم المسلمون بعلم الفلك، وبتقاويم البلدان والأقاليم وازدهر علم الطب وصناعة العقاقير[1].

كما وفرت الدولة سبل الرعاية للقائمين على العملية التعليمية، وقامت بنفس الدور بالنسبة للطلاب، حيث لعب نظام الوقف على المدارس في عهد الأيوبيين دورا كبيرا في تفعيل الحياة العلمية والحركة الثقافية، اذ أن الأيوبيين بتطبيقهم هذا النظام أثبتوا حرصهم وتشجيعهم لتطوير واستمرارية الحياة العلمية،[2] فاهتموا برعاية طلبة العلم وكفلوا لهم النفقة والكسوة والطعام والإقامة، انطلاقا من أن التفرغ للعلم والدرس وملازمة الشيوخ، لا يحصل بتكفية طالبيه أمر السعي في أسباب العيش، ولعل هذه الرعاية والعناية التي حظي بها طلاب العلم في معظم فترات العهد الأيوبي كانت سببا في شيوع العلم بين عدد كبير من أفراد المجتمع بين عدد كبير من أفراد المجتمع وعلى الأخص الفقراء والأيتام، فكثيرا ما تهيأت امامهم السبل لتحصيل العلم والاشتغال به دون عائق[3].

ومن ثم فقد قدمت الدولة العديد من الخدمات الطلابية التي كان معظمها بالمجان، فصلاح الدين الأيوبي كان شديد العناية والاهتمام بالطلاب بحيث كان يوفر لهم الخبز المجاني الذي يوزع يوميا، ورتب لهم المدرسين في مختلف العلوم[4]، وهيأ لهم الرعاية الصحية والتشجيع لجذب أكبر عدد من مشاهير العلماء المتميزين في عصرهم، فقاموا بتوفير الرواتب والمساكن المناسبة لهم، ونتيجة لذلك أصبحت مصر مقصدا لمعظم العلماء، يأتون لها من المشرق والمغرب، حيث يرى كل منهم في مصر البيئة الملائمة لنشر علمهم، وهناك عاملان شجعا هؤلاء العلماء على الحضور الى مصر، فمن الناحية الدينية كانوا يرون أن واجبهم الديني يحتم عليهم إعادة نشر المذهب السني بمصر وتعريف الناس بأصول دينهم، ومن ناحية أخرى كانوا يأنسون بما يلاقونه من حسن الجزاء والرعية من السلاطين

[1] فتحي محمد، المرجع السابق، ص48.
[2] صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص263.
[3] المصدر نفسه، ص266.
[4] ابن تغري بردى، المرجع السابق، ج2، ص155.

والامراء، ومع تعزيز الدور السياسي للمدارس وأهميته في تعزيز وضع الحكام، رأي الكثير منهم العديد من المدارس في المدن الرئيسية بمصر والشام[1].

وكان للمرأة دور متميز في العصر الأيوبي مقارنة بالعصور التي سبقتها، فلما دنس الصليبيون أرض الشام ومصر وقف بوجههم الكثير من فئات المجتمع الإسلامي، فكان على المرأة أن تقف بجوار أخيها الرجل في مجال الدفاع عن الأرض والعرض، وأسهمت بشكل فاعل في هذا الجانب،[2] وكانت الأميرات الأيوبيات متقدمات على غيرهن في شتى المجالات، من بينها مجال العلم واعداد العلماء والخطباء والطلبة والمجاهدين الذين يغذون المعارك بالرجال المتحمسين للدفاع عن بلاد المسلمين، فضلا عن بنائهن للعديد من المؤسسات الدينية والتعلمية والخدمية، فهؤلاء النسوة قد شاركن في بناء المساجد والمدارس والمؤسسات الأخرى من أموالهن الخاصة، فكانت لهذه المؤسسات دور ريادي ومتميز في الاعداد الديني والعلمي للطلبة في مختلف المدن المصرية والشامية.

فقد كان للمرأة اثر بارز في الحياة العلمية والحضارية، ولا سيما فيما يتعلق بالعلوم الدينية ومنها علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، حيث شاركت المرأة العلماء وأسهمت معهم في إغناء الفكر الإسلامي وقد تتلمذ على أيدي النساء الكثير من مشاهير العلماء والمفكرين والمؤرخين في عصر الدولة الأيوبية في مصر والشام[3]، وقد كان تعليم البنات منتشرا في العصر الايوبي فقد تلقين تعليمهن في المراكز العلمية العديدة، وبلغت العناية بتعليمهن احضار الكثير منهن للسماع في مجالس العلم منذ بلوغهن الخامسة من العمر، كما قرأت البنات القرآن الكريم، وتلته بعضهن بالقراءات السبع، كما حفظ بعضهن الشاطبية، وسمعن الحديث، واشتغلن به (صحاحه، ومسانيده، وأجزائه، ومشيخاته، وأماليه، ورحلن في سبيله، وحدثن وقرأن الفقه والشعر وحصلن على الإجازات.)[4]

---

[1] صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص236.

[2] سناء أحمد فلاح القضاة، المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه الفلسفة في التاريخ الإسلامي والحضارة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 2007م، ص188.

[3] محمد حلمي، الحياة العلمية في مصر والشام (52-648هـ/1127-1250م)، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 1958م، ص20.

[4] سناء أحمد فلاح، المرجع السابق، ص7.

وقد درست المرأة في المراكز العلمية العديدة، وسمعن عليهن طالبو العلم، وأخذوا عنهن، ورحلوا إليهن، وقد تصدرن بعضهن في مجالس السماع، وسمع عليهن العديد من مشهوري العلماء من أمثال ابن عساكر، والمنذري، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم وقانت المرأة بدور ملموس في مظاهر الحياة الثقافية في بلاد الشام ومصر في العصر الأيوبي[1]، أسهمت بنشاط ظاهر في حركة التعليم آنذاك فقد تتلمذ عليها الكثيرون من طالبي العلم وطالباتهن وتزاحموا للأخذ عنها، ولهذا فليس غريبا، أن نرى كتبا كثيرة خصصت للحديث عن النساء، وتعليمهن، وأشعارهن، مثل: أخبار النساء لابن الجوزي، ونزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، والروضة الغناء في تواريخ النساء وغيرها، وقد تنوعت أماكن التعليم التي كانت طالبات العلم تتعلم فيها، بين المنزل والمسجد، والمدرسة، والزاوية، والرباط وغيرهن، ومن المراكز الاخرى أو قمن ببنائها[2].

ونالت المرأة حظا من العمل التعليمي، وان لم تسلم وظيفة التدريس في المدارس، ولعب النساء بعض النساء دورا لا يقل أهمية عما قام به العلماء والفقهاء، وتتلمذ على أيديهن الكثير من الطلبة.

ومنهن من اتخذت منازلهن أماكن اشتغال بالعلم والتعلم، ويذكر ابن عساكر أنه قرأ على كثير من النساء العالمات في منازلهن، ومن ذلك ان الشيخة المحدثة فاطمة بنت الملك المحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (ت661هـ/ 1263م) قد سمع عليها بمنزلها، جوار المدرسة الصالحية بدمشق، جزءا في الحديث، وكذلك سمع ابنه (تقي الدين أرسلان) الحديث منها في المجالس[3].

وكانت المرأة تتعلم موضوعات عديدة، فقد تعلمت علوما شتى، شملت العلوم الدينية، والعلوم اللغوية والأدبية، والتاريخ، وغيرها ومن ذلك أنها تعلمت القرآن الكريم، الحديث، والشعر، والنحو، والخط، والتاريخ، وغيرها من العلوم، ثم علمت المرأة تلك العلوم أيضا، واشتغلن بالحديث النبوي خاصة، وعنين به عناية كبيرة، وتظهر مشاركتهن في هذا المجال أكثر من ظهورها في غيره من

[1] المصدر نفسه، ص 172.

[2] المصدر نفسه، ص 178.

[3] ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2002م، ص190.

المجالات، فقد سمعن، وأسمعن، وحضرن مجالس السماع، وعقدن مجالسه، وروين الحديث، وقد أقبلن على ذلك بشكل جلي.[1]

كما أسهمت المرأة في بناء المؤسسات التعليمية في مصر خلال العصر الأيوبي، ومن المدارس التي أنشأتها المرأة في القاهرة المدارس القبطية التي أنشأتها عصمت الدين خاتون مؤنسة القطبية ابنة السلطان الملك العادل الأيوبي خير شاهد على تلك الاسهامات حيث أنشأت عام 604هـ/1208م المدرسة القطبية الأولى في بداية حارة زويلة في مدينة القاهرة، وجعلتها وقفا على الفقهاء الشافعية[2].

وأنشأت المدرسة القبطية الثانية في الحارة ذاتها ولكن اكتملت وافتتحت بعد وفاتها، حيث تركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة فبنيت بموجب وصيتها، ورتب فيها درسين أحدهما للشافعية والآخر للحنفية، وهذا يعني أنها أقدمت على تعيين مدرسين ومعيدين لكل مذهب، ومن ثم ازداد أعداد المدرسين والطلبة وتزاحم الطلاب على المدرسين، حتى أصبح هناك منافسة في الحصول على السكن الداخلي[3].

وأقامت السيدة عاشوراء بنت ساروح الأسدي زوجة ايازكوج الأسدي بشراء أحد الدور التي كانت تعود ملكيتها للطبيب اليهودي هبة الله بن جميع (ت594هـ/1197م)، بحارة زويلة في مدينة القاهرة وحولتها الى مدرسة لتدريس الفقه الحنفي عرفت بالمدرسة العاشورية، وكانت مغلقة معظم الأحيان ولا تفتح الا قليلا ويعود ذلك بسبب وجودها في زقاق يسكنها الا اليهود ومن يقربهم بالنسب[4].

ولعبت المرأة دورا كبيرا كأم ومعلمة، ولم تكن ذلك الانسان المحتجب السلبي الذي لا دور له في الحياة العامة ولا عمل له الا داخل جدران البيوت كما يظن بعضهم، والدلالة على ذلك ما أورده ابن عساكر الذي يذكر فيها شيوخه فيقول، ان حملة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ونيف وثمانون امرأة،

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص463.

[2] سناء أحمد فلاح، المرجع السابق، ص202.

[3] شوكت عارف الاتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الايوبي، دار دجلة لتوزيع والنشر، 2007م، العراق، ص 45.

[4] المرجع نفسه، ص55.

بمعنى أن نسبة كبيرة من شيوخه كانوا من النساء، واذا أضفن الى ذلك أن كثيرات منهن نلن التقدير، أدركنا دور المرأة العلمي في هذا العصر، ومن ذلك أن ابن عساكر يلقب ملكة بنت داود بنت محمد بن سعيد القرطي الصالحة الصوفية بالعالمة، وكانت النساء العالمات اللواتي تصدين للتدريس، يلقين دروسهن اما بالمسجد الجامع، أو في البيوت، أو في البيوت، أو ي أماكن مخصصة[1].

وكانت المرأة تتفقه وتصل الى مرتبة العلماء في البيوت أو في المساجد، فغالبية النساء اللاتي إشتهرن بالعلم والدين نشأن في بيوت علم ودين، وكن يرتحلن في طلب العلم ويحبسن الأوقاف على دور العلم، وبعضهن سابقن الرجال في هذه المآثر، كما شاركت المرأة في تيار التصوف الذي أخذ يشتد تدريجيا في هذه المرحلة، كما شاركت في الحياة العامة والنشاط السياسي[2].

المبحث الثاني: المدارس والمكتبات في العصر الأيوبي.

أكثر الأيوبيون من بناء المدارس وكان ذلك في حد ذاته مظهرا قويا لرق الحياة الفكرية في هذا العصر،[3] وقد عرفت مصر والشام المدارس منذ العهد الفاطمي ،حيث أنشئت بمصر ثلاثة خلال القرن (12/م)، وكان مركزها الإسكندرية ،ومن ثم توسعت ظاهرة انتشارها مع بداية العصر الأيوبي ،فقد صار صلاح الدين على نهج سيده نور الدين محمود الذي أقام المدارس في الشام لمحاربة المذهب الشيعي ،ويمكن للمذاهب السنية والتي ستكون السند الفكري للدولة ،ثم اقتدى به أولاده وخلفاؤه من بعده ،وكان الغالب عليها الطابع المذهبي ،حيث كانت تشهد نشاطا علميا للمذاهب الأربعة [4].

وعلى الرغم من ان السلاطين الأيوبيين كان همهم الجهاد والكفاح ضد الصليبيين إلا أنهم اشتهروا بحبهم للعلم والعلماء فكان صلاح الدين يجمع حوله رجال العلم ليستمع إليهم ويسألهم في كل أمر،

[1] سناء أحمد فلاح، المرجع السابق، ص204.

[2] سناء أحمد فلاح، المرجع السابق، 207.

[3] اسميت غنيم، المرجع السابق، ص138.

[4] رمضاني فوزي، إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط ،2017/2016، ص77

ثم يلتزم مشورتهم ويتقيد به. وكان عدد العلماء والأدباء في مجلسه أكثر من عدد القواد ورؤساء الأجناد [1]

وكما يقال عن صلاح الدين يقال أيضا عن أفراد أسرته ،فابنه العزيز عثمان الذي خلفه في السلطنة قال عنه ابن خلكان أنه "سمع الحديث من الحافظ السلفي والفقيه أبي الطاهر بن عوف الزهري في بلاد الشام، وسمع بمصر من العلامة أبي محمد بن بري النحوي وغيرهم[2] .أما العادل أخو صلاح الدين فكان يميل الى العلم والعلماء ونخص بالذكر منهم الفيلسوف فخر الدين الرازي الذي صنف له بعض كتبه وأرسلها له من خراسان .ويذكر المقريزي أن السلطان الكامل كان يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم وعنده شغف بسماع الحديث النبوي[3] ،وكان يناظر العلماء في مسائل غريبة من فقه ونحو فمن أجاب نال خطوة ورفعة ،وكان يبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم ،فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه.

وإذا كان اهتمام سلاطين بني أيوب في العلم قد بلغ هذا الشأن، فلا نتعجب بعد ذلك لكثرة المدارس التي أسسوها، وأصبحت مركزا يشه منها نور العلم والمعرفة.

وقد ازداد عدد المدارس زمن الأيوبيين زيادة ملحوظة، حتى أصبح بالقاهرة حوالي ثلاث عشرة مدرسة سنة 600هـ/1203م.والواقع أن الأيوبيين لم يبتكروا نظام المدارس، إنما يعود الفضل في ذلك الى السلاجقة الذين استحدثوا هذا النظام لنشر المذهب السني ومكافحة المذهب الشيعي وتهيئة عقول المسلمين لفكرة الجهاد المقدس وكان نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه أول من أسس مدرسة في بغداد [4]

وقد حاز تاريخ الأيوبيين على نصيب وافر من إنشاء المدارس، واشتهر عن صلاح الدين الأيوبي أنه أكثر من إقامة المدارس بمصر والشام، ووضع لها أنظمة ثابتة، وكان يحضر بعض الدروس، بل إنه

[1] عرب دعكور، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضاراتهم، منتدى سور الأزبكية، بيروت، 2010م، ص280.
[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص315.
[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص258.
[4] أبو شامة، الروضتين، ج1، ص200.

كان يتجه الى إستماع الحديث ما اتسع له الوقت في ذلك، وقد كان لكل علم أحيانا مدرسة خاصة، فمدرسة للحديث واخرى للفقه وهكذا، ومن أهم المدارس التي أنشئت في زمن الأيوبيين[1]:

أولا: المدرسة الناصرية الأولى

قام صلاح الدين الأيوبي سنة (566هـ/1170م) من هدم سجنا كان يعرف بدار المعونة[2] بجوار جامع عمرو بن العاص وإنشاء مكانة مدرسة للفقهاء الشافعية، وقد عرفت هذه المدرسة باسم الناصرية نسبة الى الناصر صلاح الدين وتم بناؤها في العهد الفاطمي[3] حيث يروي المقريزي على بنائها وأثرها على الدولة الفاطمية فيقول "وأنشأها مدرسة برسم فقهاء الشافعية، وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة، وهي أول مدرسة عملت بالديار مصر "[4]

ثانيا: المدرسة القمحية: وهي أول وأهم مدرسة للمالكية بمصر في العصر الأيوبي كان موضعها بدار الغزل، وهي قيسارية يباع فيها الغزل بجوار الجامع العتيق، فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية ، وكان الشروع فيها للنصف من محرم سنة 566هـ /1170م ،وقد عرفت باسم المدرسة القمحية نسبة إلى القمح الذي كانت تحصل عليه من الوقف الذي وقفه عليها السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ثالثا :المدرسة الفاضلية : وهي المدرسة أوقفها القاضي الفاضل البيساني (ت569هـ/1200م)على مذهبي الإمام مالك والشافعي ،وبالتالي في تجمع بين مذهبين ، وجعل بها قاعتين إحداهما لتدريس المذهبين الشافعي والمالكي، على أن يقوم بهذه المهمة مدرس واحد اشترط فيه الإلمام بالفقهين معا ،وقد جعلت الأخرى لتدريس القراءات.

---

[1] رمضاني فوزي، دور المالكية، ص19.

[2] أحد الدور الهامة بمصر وقد ذكر المقريزي أنها كانت دارا للشرطة ثم تحولت بعد السنة 381هـ إلى السجن ثم حولها صلاح الدين بعد ذلك الى مدرسة

[3] المقريزي ،الخطط ،ج2،ص363.

[4] المصدر نفسه ،ج3،ص438.

رابعا :المدرسة الكاملية: أنشاها السلطان الكامل بن محمد العادل (615 ـ635هـ) (1218ـ1237م) في القاهرة بين القصرين واصطلح على تسميتها "بدار الحديث"،لأن واقف الملك الكامل قد جعلها لتدريس علم الحديث ،وليس بمصر دار حديث غيرها.[1]

خامسا: المدرسة الناصرية الثانية:

ذكر المؤرخون في حوادث سنة (572هـ/1182م) أن الملك الناصر صلاح الدين قد أمر ببناء تلك المدرسة أثناء مشاهدته التي عاينها بمصر وذلك في أواخر سنة (578هـ/1182م) أن البناء بهذه المدرسة كان لايزال متصلا على هذه السنة وقد استمرت تلك المدرسة طوال العصر الأيوبي من أعظم مدارس مصر وقد وصفها السيوطي بقوله "وينبغ أن يقال لها تاج المدارس وهي أعظم مدارس 87الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي ولأن بانيها أعظم الملوك وليس في ملوك الإسلام مثله لا قبله ولا بعده بناها السلطان صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى سنة إثنين وسبعين وخمسمائة ، ومن الطبيعي أن تكون تلك المدرسة وقفا على الفقهاء المذهب الشافعي[2].

وقد ظلت هذه المدرسة موضع رعاية من سلاطين مصر من ناحية تجديدها وتوسيعها وموضعها اليوم مسجد الإمام الشافعي رضي الله عنه.

المدرسة السيوفية: بناها صلاح الدين مكان دار الوزير الفاطمي عباس لكي يدرس فيها مذهب الإمام ابي حنيفة ،وقد عرفت باسم المدرسة السيوفية نسبة الى وجود سوق السيوفيين على بابها .

إضافة إلى ذلك ، فقد كانت هناك مدارس أخرى كثيرة انتشرت في أنحاء البلاد منها المدرسة القطبية ،والمدرسة التقوية [3].

[1] أيمن شاهين سلام ،المدارس الإسلامية في مصر خلال العصر الأيوبي ودوها في نشر المذهب السني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة في الآداب شعبة التاريخ الإسلامي ،قسم التاريخ،كلية الآداب ،جامعة طنطا ،1999،ص 97.

[2] أيمن شاهين، المرجع السابق، ص87.

[3] رمضاني فوزي، دور المالكية، ص20.

ومن المظاهر الهامة ما نلاحظه بمصر من قلة المدارس الحنابلة وكثرة المدارس التي يجري بها تدرس المذاهب الأربعة على عكس ما كان جاريا بدمشق.

والواقع أن المدارس في العصر الأيوبي كانت أشبه بالجامعات، فبعد ما كانت تدرس فيها العلوم الدينية أصبحت مع الأيام تدرس فيها اللغوية التي اشتملت على النحو واللغة والبيان والأدب بالإضافة الى الفلسفة والعلوم الطبيعية التي تعتمد على الادراك الحسي والاستنتاج.[1]

وقد جرت العادة على تعيين معيد أو أكثر لكل مدرس يدرس في تلك المدارس، وذلك ليعيد للطلبة ما ألقاه عليهم المدرس ليفهموه ويحسنوه، كما يشرح لهم ما يحتاج الى الشرح ومن ذلك أن صلاح الدين عين معيدين بالمدرسة الناصرية[2].

أما طريقة التدريس فاعتمدت عادة في ذلك العصر على الإلقاء والتلقين، وبالإضافة الى المدارس ذات التعليم العالي، وجدت في العصر الأيوبي كتاتيب لتعليم الصغار القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم. أما أجور المدرسين ومرتباتهم فكانت من حاصلات الأوقاف العينية التي أوقفها السلاطين الأيوبيين والتي كانت تقتصر على الأراضي الزراعية، بل تعدتها على مرافق عديدة[3].

ومن هذا يتبين لنا أن المدارس قد سهلت الطريق لطلب العلم فقد وجد طالب العلم في المدرسة علوم الفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو، فينهل منها جميعا عوضا من البحث عن المشايخ والتكلف في الذهاب إليهم، فيجد بغيته في المدرسة مباشرة[4].

ب-المكتبات:

[1] عرب دعكور، المرجع السابق، ص 288.
[2] رمضاني فوزي، دور المالكية، ص20.
[3] عرب دعكور، المرجع السابق، ص289.
[4] ارمضاني فوزي، دور المالكية، ص20.

بالنسبة للمكتبات فقد لقيت هي كذلك العناية البالغة، فكانت تلحق بالمدرسة مكتبة عامرة بالكتب يستخدما الطلاب والأساتذة، فقد الحق صلاح الدين بمدرسته الصلاحية مكتبة كبيرة، وألحق بكل مدرسة أنشأها مكتبة أصغر.[1]

فقد أنشأ الايوبيون المكتبات الضخمة التي يرجع اليها المدرسون والمعيدون والطلبة ليستزيدوا منها العلم والتحصيل، ولم تقتصر المكتبات في هذا العصر على المدارس فقط وانما وجدت كذلك بالجوامع، فضلا عن المكتبات الخاصة التي اقتناها محبي العلم والبحث من رجال الدولة.[2]

وكان للمكتبات عدد من الموظفين مهمتهم تنظيم الكتب والمحافظة عليها، وخدمة المترددين على المكتبة، وأهم موظف المكتبة هم الخازن (أي أمين المكتبة) والنساخ، والمجلدون والمناولون.

والى جانب المدارس، وجدت في العصر الأيوبي الكتاتيب، لتعليم الصغار القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن، وقد لجأ السلاطين الأيوبيين الى وقف الأوقاف على المدارس والكتاتيب سواء كانت هذه الأوقاف أراضي زراعية أو حوانيت وأفران وحمامات.[3]

[1] رمضاني فوزي، دور المالكية، ص 22.

[2] اسمت غنيم، المرجع السابق، ص 139.

[3] نفسه، ص139.

المبحث الثالث: التنشئة الاجتماعية ودورها في الحياة العلمية.

تكتسي الحياة العلمية في التاريخ الإسلامي أهمية كبيرة، ويعد العصر الأيوبي عصر احياء للفكر والثقافة الإسلامية والعربية[1]، وهذا راجع بالدرجة الأولى الى توافر جملة من العوامل لعل في مقدمتها موقع مصر الذي يتوسط قارات افريقيا وأروبا وأسيا، فضلا عن دورها الحضاري، كما كان انتشار الإسلام فيها دور إيجابي لاستقطاب الكثير من الاجناس والقوميات التي كان لها أثر بالغ في ازدهار وتطور النشاط العلمي[2]، واحياء العلوم الشرعية والاهتمام بالقرآن والحديث اهتماما بالغا، واهتمام الحكام والناس وتقديريهم للعلم والعلماء، والدراسة والمدارس، ولم تقتصر النشاطات العلمية العلوم الشرعية فحسب، بل تعداه الى العلوم العقلية خاصة الطب، كما لم تقتصر ممارسة النشاط العلمي على العلماء المسلمين بل مارسه بقوة أهل الديانات الأخرى فاستطاعت بذلك ترك أثر كبير في الحياة العلمية في هذا العصر[3].

ومن العلماء العرب الذين أسهموا بنصيب وافر في الحياة العلمية والدينية والاجتماعية في مصر الأيوبية العالم الصوفي عمر بن الفارض(576-632هـ/1170-1234م) وينسب الى بنى سعد يقول عنه ابن اياس (وكان الشيخ شرف الدين بن الفارض رضي الله عنه فريد في عصره في علم التصوف، وكان له نظم فائق في معاني الغراميات لم يسبق اليه)[4].

ومن علماء الحديث –بل رأس الحفاظ في العصر – المحدث السلفي: وهو أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي من أهل أصبهان وكان يلقب بصدر الدين وكان اماما حافظا متقنا ناقدا ثبتا، دينا خيرا، انتهى اليه علو الاسناد، وكان أوحد زمانه في علم الحديث، غزير العلم، شافعي المذهب، رحل الى بلاد كثيرة وطاف الآفاق

[1] عامر فتحي، المرجع السابق، ص 43.

[2] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص326.

[3] محمد زغلول سلام، الادب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990، ص85.

[4] ابن اياس، المرجع السابق، ج1، ص 66.

وسمعوا اليه كثير من الناس وانتفعوا به، وفي سنة 546هـ بنى له العادل علي بن إسحاق ابن السلار وزير الظافر مدرسة بالإسكندرية وفوضها اليه، وكان ابن السلار سنيا شافعي المذهب وسميت المدرسة باسمه (المدرسة العادلية)[1].

ومن رجال الحديث ذكر السيوطي عدد كأبي الحسن علي بن المفضل وأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي، وابن باقا، وعبد الرحمن بن عبد الجبار العثماني الاسكندراني التاجر المحدث السلفي وكان واسع الباع في علم الحديث كثير الرواية، قيما بالأدب متصرفا في النظم والنثر[2].

ومن أئمة الفقه على المذهب المالكي ابن الأنجب علي ولد بالإسكندرية وكان فقيها فاضلا في مذهب الامام مالك ومن أكابر الحفاظ، درس بالمدرسة الصاحبية [3]

الشاطبي إمام القراء: هو أبو محمد بن فيره الشاطبي الضرير المقرئ، كان أوحد زمانه في علم النحو واللغة عارفا لعلم الرؤيا حسن المقاصد فيما يقول ويفعل، قرأ القرآن الكريم بالقراءات وسمع الحديث من كثيرين، دخل القاهرة سنة572هـ، وكان نزيل القاضي الفاضل، وقد رتبه في مدرسته بالقاهرة فتصدر فيها لإقراء القرآن الكريم وقراءته والنحو واللغة[4].

أبا بكر الطرطوشي: وهو محمد بن الوليد الفهري الأندلسي نزيل الإسكندرية وأحد الأئمة الكبار عبد رحل وسمع ببغداد وكان اماما عالما زاهدا ورعا له تصانيف كثيرة منها (سراج الملوك)[5].

المنذري: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المصري الشافعي، الحافظ الكبير، ولد بمصر سنة 581هـ، وتفقه وطلب هذا الشأن فبرع فيه، وكان عديم النظير في معرفة الحديث على اختلاف فنونه، متبحرا في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله وغريبه، إماما حجة بارعا في

[1] أحمد النجار، الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي، المجالس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، فلسطين، د ت ط، ص65.

[2] المصدر نفسه، ص66.

[3] محمود مصطفى، الادب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية عصر الايوبي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1967م، ص317.

[4] لمصدر نفسه، ص332.

[5] أحمد النجار، المرجع السابق، ص64.

الفقه والعربية والقراءات ورعا، ألف الترغيب والترهيب[1]، وشرح التنبيه[2] وغير ذلك، مات سنة 656هـ.[3]

الخبوشاني، نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد بم علي، ولد سنة 510هـ، تفقه على تلميذ الامام الغزالي، وتفقه بالمدرسة الصالحية المجاورة لضريح الامام الشافعي، كان شيخها وناظرها، في ستة عشر مجلدا، مات سنة587هـ، ودفن في قبة مفردة تحت رجلي الامام الشافعي.[4]

ابن النفيس، علي بن أبي الحزم القرشي، شيخ الطب بالديار المصرية وصاحب التصانيف الموجزة، شرح "القانون"[5]، وانتهت اليه معرفة الطب بالمشاركة في الفقه والأصول والحديث والعربية والمنطق، مات سنة 687هـ[6].

أبراهيم بن منصور: مصري رحل الى بغداد فعرف بالمصري ثم عاد الى مصر فعرف بالعراقي، كان فقيها شافعيا شرح المهذب" لأبي إسحاق الشيرازي في عشرة أجزاء وكان خطيبا بجامع مصر (جامع عمرو بن العاص).[7]

فضل الدين الخونجي: محمد بن ماء ورد بن عبد الملك، الفيلسوف، ولد سنة 590هـ، برع في علوم الأوائل، وولى قضاء الديار المصرية، صنف:" الموجز في المنطق والجمل" و"كشف الاسرار في الطبيعة" وشرح" مقالة ابن سينا" وغير ذلك، مات سنة 642هـ[8].

---

[1] كتاب في الاحاديث النبوية يقع في مجلدين، مقتصرا على ما ورد في الترغيب لثواب الله تعالى والترهيب من عذابه مما ور صريحا في كتب الحديث الستة الصحيحة.

[2] كتاب في الفقه يسمى "التنبيه في فروع الشافعية" لأبي اسحق الشيرازي الشافعي.

[3] السيوطى، جم، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، الجزء السادس،

[4] المصدر نفسه، ص86.

[5] القانون: كتاب في الطب ألفه الامام ابن سينا وقد ضمنه قوانين الطب الكلية والجزئية.

[6] السيوطي، المرجع السابق، ص121.

[7] محمود مصطفى، المرجع السابق، ص318.

[8] السيوطي، المرجع السابق، ص120.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، قاضي القضاة، صاحب كتاب" وفيات الأعيان" ، ولد سنة 600هـ، وتفقه على كبار العلماء، وكان سريا ذكيا أخباريا، سكن مصر مدة، وناب في القضاء بها، ثم ولى قضاء الشام عشر سنين، ثم عزل فأقام بمصر سبع سنين ثم رد الى قضاء الشام، مات سنة 681هـ.[1]

ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، صاحب كتاب "الأدوية المفردة " انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه، خدم الملك الكامل ثم ابنه الصالح، مات بدمشق سنة 646هـ.[2]

بعض من كان بمصر من الشعراء والادباء

ابن القلاقس، عبد الله بن مخلوف بن علي، الاسكندري ويلقب بالقاضي الأعز، من شعراء الدولة الصلاحية، ولد بالإسكندرية سنة 532هـ،وكان شاعرا مجيدا، فاضلا نبيلا، صحب السلفى فانتفع بهم، مات في عيذاب سنة 607هـ.

الأسعد بن الخطير مهذب بن مماتي: كان ناظر الدواوين بالديار المصرية، وكان كاتبا شاعرا، نظم سيرة صلاح الدين، وكتاب كليلة ودمنة وله ديوان الشعر.

لقيه ابن خلكان بمصر وهو متولي ديوان الجيش للملك الناصر توفي سنة606هـ.

ابن برى عبد الله المقدس ثم المصري النحوي الذي انتهى اليه علم العربية في زمانه وقصد من البلاد لتحقيقيه وتبحره، وكل اليه في عهد الدولة الأيوبية تصفح الرسائل بديوان الانشاء فلم كن يصدر كتابا عن الدولة الى الملك من ملوك النواحي، الا بعد تصفحه ليصلح ما لعله يكون في خلل خفي، فهو لاتصاله بالديوان وعرفا نه بمصطلحاته وماتجرى به رسومه يعد من رجال هذه الديوان.[3]

[1] المصدر نفسه، ص126.

[2] المصدر نفسه، ص127.

[3] محمود مصطفى، المرجع السابق، ص307.

كما ساهم الكرد في الحركة العلمية بمصر وجاء دورهم متوازيا مع دورهم الفاعل على الصعيدين السياسي والعسكري، وقد أهلت المكانة العلمية الكثير من الكرد لتولي المناصب المهمة كالقضاء،[1] فقد تولى قاضي القضاة أبو القاسم عبد المالك بن عيسى بن درباس بن فير بن جهم بن عبدوس الماراني الشافعي(ت605هـ/1208م) الذي تولى القضاء بالديار المصرية مدة طويلة، كما ولي ديوان الأحباس، والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أزبك السنجاري الشافعي (ت641هـ/1243م)، تفقه على المذهب الشافعي، وتولى القضاء ببعض نواحي مصر، كما تولى القضاء بغزة من أرض الشام[2]، والفقيه العلامة أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب المالكي (ت646هـ/1248م)، درس ابن الجاجب منذ صغره على يد كبار علماء الإسكندرية، وله تصانيف كثيرة أبرزها كتاب في الفقه المالكي سماه(مختصر منتهى السؤال والأمل) وكتابه الشهير الاخر (القافية في النحو)، والشافية في الصرف والايضاح في شرح مختصر الزمخشري، والامالي، فضلا عن مجموعة من الكتب الأخرى، واشتهر في الإسكندرية، وتصدر بالمدرسة الفاضلية وكان يتردد اليه كثير من الناس[3].

الشيخ المحدث أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسى بن جكو الكردي الأصل، شهاب الدين الهكاري، عارف بالرجال، كان شيخ الإقراء في مدرسة المنصورة بالقاهرة، تولى مشيخة الحديث بالمنصورية.

من تصانيفه: { الكتب الستة، طبقات ابن سعد، كتاب في رجال الصحيح} توفي في القاهرة سنة (740هـ/1350م).[4]

وبرع الأقباط خلال العصر الأيوبي في مجال الطب، وقد اختص الكثير منهم بالسلاطين الايوبيين أنفسهم ورافقوهم في حلهم وترحالهم، ونالوا من قبلهم التكريم والرعاية، كما استقطب الأيوبيون بسياستهم الحكيمة من استقطاب بعض الأطباء من غير المسلمين الذين رحلوا الى مصر وآثاروا البقاء

[1] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص329.
[2] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص329.
[3] محمد الصويريكي، المرجع السابق، ص214.
[4] المصدر نفسه، ص215.

والاستقرار فيها[1]، كالطبيب موفق الدين اسعد بن الياس بن جرجيس المشهور بابن المطران (ت587هـ/1191م) الذي كان يعمل في بداية الأمر بالبيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين محمود زنكي في دمشق يعالج المرضى المقيمين فيه، ثم انتقل الى خدمة السلطان صلاح الدين وحظي باحترامه، وتقدم عنده حتى أصبحت له مكانة مرموقة، وكان كثير الاشتغال بالطب، وله تصانيف تدل على فضله ونبوغه، كما كانت له همة عالية في تحصيل الكتب حتى انه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة الاف مجلد. أما الطبيب نجم الدين غالب بن مهند بن منصور (ت599هـ/1202م)، فقد خدم السلطان صلاح الدين وكان

يتردد الى دوره مع جملة الأطباء .وخدم الطبيب رشيد الدين ابن سعيد الموفق الدين(ت66هـ/1247م)، عددا من السلاطين الأيوبيين منهم السلطان الكامل، ومن بعد خدم ابنه السلطان الصالح أيوب لمدة تسع سنين، وصنف له كتابا دعاه –عيون الطب- واحتوى على علاجات مختارة.

كما ساهم اليهود في مجال الحياة العلمية، فبرزت مشاركتهم في الكثير من الأحداث، وكانت لهم مساهمات فاعلة في النشاطات العلمية والثقافية طوال العصر الأيوبي وكان الطب أحد المجالات التي برع فيها اليهود الى جانب المسيحيين، وبرز من بينهم عدد من مشاهير الأطباء ممن طبقت شهرتهم في الآفاق، وتمتعوا بسببه بمنزلة اجتماعية كبيرة، وتلقوا مظاهر الاحترام، وتقلد بعضهم رئاسة الأطباء في الأطباء، كما خدم بعضهم في بلاط الايوبيين كالطبيب إبراهيم السامري المعروف بشمس الحكماء، وطبيب أبو الفضائل بن الناقد الملقب المهذب الذي كان مشهورا بالطب والكحل، أي بطب العيون وكان مشغولا جدا بمداواة المرضى، فيذكر ابن أبي أصيبعة أنه لم يكن له مجلس للعلم فقط، وانما كان الطلبة والمشتغلين عليه في أكثر اوقاته يقرؤون عليه وهو راكب وقت سيريه وافتقاده المرضى.

[1] خالدة سلمان، المرجع السابق، ص335 .

وتوفى الطبيب أبو الفضائل عام(574هـ/1188م) زمن الملك الناصر صلاح الدين بالقاهرة، وكان له ابن أعلن اسلامه يعرف باسم أبو الفرج كان طبيبا وكحالا أيضا، ومن كتبه مجرباته في الطب.

والطبيب أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، يقول عنه ابن ابي أصبيعة: إنه كان أوحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها.

وقد التجأ الى مصر في عهد صلاح الدين (567-589هـ/1171-1193م) بعد هروبه مع أسرته من المغرب، عندما خير من طرف أمير الموحدين من عنده من النصارى واليهود بين الإسلام والنفي، فجاء موسى بن ميمون الى مصر، واحترف مهنة الطب فيها، وعندما ذاع صيته اختير الطبيب الأول لوزير صلاح الدين القاضي الفاضل عبد الرحمن البيساني الذي أوصله الى البلاط السلطاني وغمره بامتيازات عديدة.

ومن كتبه في الطب: كتاب شرح العقار، ومقالة في السموم والتحرز من الأدوية القاتلة، مقالة في تدبير الصحة صنفها للملك الأفضل علي بن املك الناصر صلاح الدين.

كما اشتهر الموفق ابن شرعة(ت 632هـ/1234م)، بكونه من كبار أطباء اليهود بمصر حيث كان له معرفة بالطب الباطني، وطب العيون فضلا عن الجراحة.

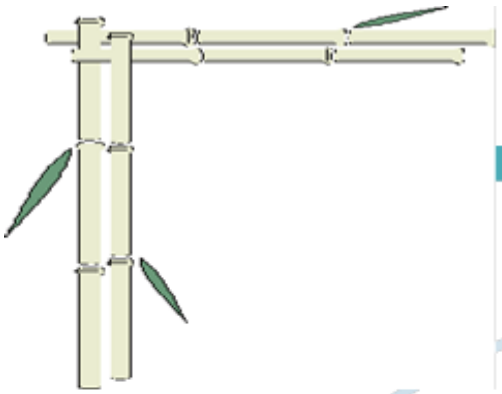

الخـاتمـــة

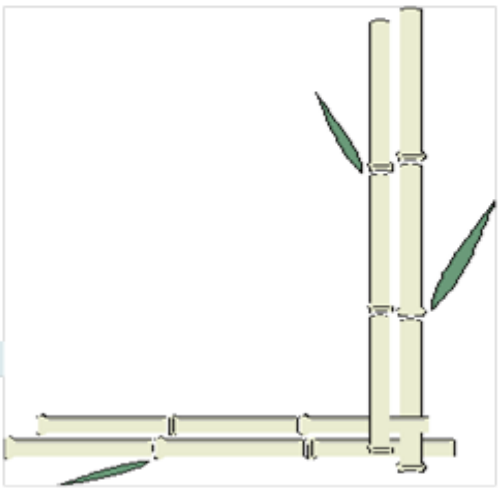

الخاتمة

في نهاية هذا العمل هذه أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه الدراسة:

* كان لموقع مصر الاستراتيجي الذي يتوسط قارات افريقيا وأروبا وأسيا دور هام في استقطاب العديد من الأجناس ارتبطت مع بعضها بروابط عديدة.

* تأثير التغيرات السياسية التي شهدتها مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية على التركيبة السكانية فيها، اذ شهدت مصر تغير في طبقات وعناصر المجتمع المصري، فقد تراجع نفوذ بعض العناصر التي كانت تمثل قمة الهرم الطبقي للمجتمع، وحل محلها عناصر أخرى.

* كانت الدولة الأيوبية غنية بالسلالات العرقية والعقائد الدينية المختلفة، فالمجتمع الأيوبي يضم بالإضافة الى العرب عناصر من الأتراك والأكراد.

* ظهور دور الكرد في العصر الأيوبي الذين استطاعوا أن يحتلوا مكانة متميزة سياسيا واداريا واقتصاديا، بحيث انتشر الكرد في أغلب الحواضر المصرية، ولم يقتصر دورهم في المجالين السياسي والعسكري، بل تعداهما الى مختلف الأنشطة والفعاليات الأخرى، وكان الأكراد من أهم العناصر في الدولة الأيوبية لأن معظم الأمراء والقادة كانوا يتألفون منهم.

* شكل أهل الذمة من المسيحيين واليهود شريحة مهمة من شرائح المجتمع المصري، وكان لهم مشاركتهم الفعالة في الحياة العامة، كما شغلوا مراكز متقدمة في الجهاز الإداري للدولة الأيوبية وذلك بفضل الدعم والرعاية التي حضوا بها من قبل السلطة، فضلا عن تمتعهم بقسط وافر من الحرية الدينية في ظل سياسة التسامح، وكان لهم حرية ممارسة طقوسهم الدينية في كنائسهم.

* تكونت فئات المجتمع المصري في العصر الأيوبي من طبقتين الخاصة والتي تشمل فئة السلاطين والأمراء الذين كانوا بصورة أساسية من الأيوبيين الذين حلوا محل الخلفاء الفاطميين، وفئة علماء الدين الذين كانوا بصورة أساسية من علماء السنيين، وفئة التجار، أما الطبقة العامة التي تشمل الفلاحين والصناع والرقيق والعربان والجند.

* كانت الدولة الأيوبية تتكون من تركيبة اجتماعية متنوعة مما ترك آثارا واضحة في التكوين البشري والبناء الحضاري، واللغات، والعادات والتقاليد.

* تغير مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي عن العصر لفاطمي نتيجة للتغير المذهبي من الشيعة الى السنة.

* نشطت في العصر الأيوبي حركة الرحلات العلمية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، ولم تكن الحروب الصليبية لتشكل عائقا أمام حركة التنقل، ووفد الى مصر عدد كبير من العلماء المغاربة والأندلسيين على اختلاف اختصاصاتهم سعيا في طلب العلم ولقاء الشيوخ، فضلا عن حماسهم للمشاركة في الحروب الصليبية.

* إن الانتشار الحقيقي للمدارس بمصر باعتباره ظاهرة جديدة قد تم على أيدي الأيوبيين، وقد ظهرت تلك السياسة منذ تولى صلاح الدين الأيوبي لوزارة العاضد سنة 565هـ/ 1129م.

* وجدت في الدولة الأيوبية أشكال مختلفة من المؤسسات العلمية والدينية مثل المدارس والمساجد والمكتبات.

* شهدت الدولة الأيوبية نشاطا قويا في الحياة العلمية والحركة الثقافية، ولم يكن هناك جهات رسمية مسئولة عن تمويل المؤسسات الاجتماعية والثقافية، وانما كانت تعتمد على موارد الوقف والزكاة والصدقات وأعمال البر الأخرى.

والحمد لله أولا وأخيرا

والصلاة والسلام على رسول الله

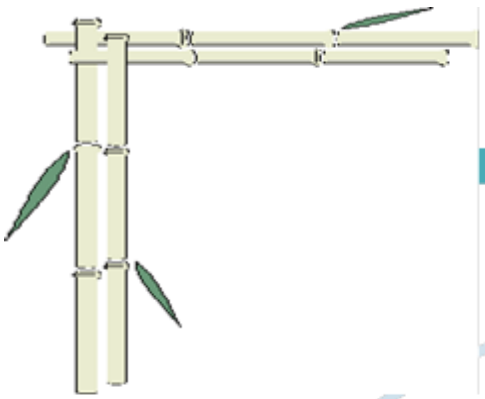

قائمة المصادر والمراجع

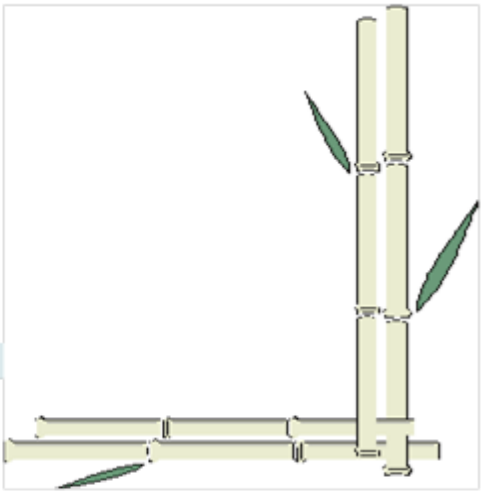

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العليا

القرآن الكريم

ثانيا: المصادر الدنيا

1. ابن الأثير محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م.
2. ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي الحنفي، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، 1960م.
3. ابن تغرى بردى جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.
4. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.
5. الدواداري أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1391هـ/1972م .
6. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل (ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ/1967م.
7. ابن شداد بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم(ت623هـ/1239م)
8. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق د. جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1415هـ/1994م.

9. أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمان بن إبراهيم بن إسماعيل الدمشقي،(ت 665هـ/1267م) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة 1418هـ/1997م.
10. القلقشندي أحمد بن علي (ت624هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق د. يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط1987،1م.
11. ابن الكثير، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت 1408هـ/ 1988م.
12. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، 1047هـ/1987م.
13. تقي الدين أحمد المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق وتعليق مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط1، 1958م.
14. البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق وتعليق عبد المنعم ضيفي عثمان عبد النعيم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة،2006م.
15. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الهيئة العامة لقصور الشعب، القاهرة، 2002م.
16. تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ت.ط.

ثالثا: المراجع

1. علي البيومي، قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، القاهرة،1952.
2. شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، دار دجلة لتوزيع والنشر، العراق، د.ت.ط..
3. عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،2016م.

4. علي حسن الخربوطي، الحضارة العربية الإسلامية، دار المعارف، د.ت.ط.
5. عرب حسين دعكور، تاريخ الفاطميين والزنكيين والمماليك وحضاراتهم، بيروت، 2010.
6. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990.
7. محمود السيد، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998م.
8. أحمد الشلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1959م.
9. سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2009.
10. محمد علي الصويركي، تاريخ الأكراد في بلاد الشام ومصر والحجاز، مطبعة السفير، عمان، 2010م.
11. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأكراد، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان،ط1، 2015م.
12. سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية،1992م.
13. فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية(من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الفاطمي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت .ط .
14. إسمت غنيم، الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
15. نجوى كمال كيرة، الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2007.
16. ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، دار القلم للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2002م.
17. عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة،1997م.
18. محمود مصطفى، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مر، 1967م.

رابعا: المجلات والدوريات

1. محمد حلمي، الحياة العلمية في مصر والشام (567هـ/684م)(1250.1127م)، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 1958م.

2. عبد الخالق خميس علي، الحياة الاجتماعية في الدولة الأيوبية، مجلة ديالي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، العدد 65، 2015م.

3. خالدة سلمان، التركيبة الاثنية للمجتمع المصري خلال العصر الأيوبي، مجلة زاخو، قسم التاريخ، جامعة زاخوا، العراق، العدد 01، 2013م.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. رشا خليل أحمد علي، الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف محمد خريسات، الجامعة الأردنية، 2010م.

2. أيمن شاهين، المدارس الإسلامية في مصر خلال العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أحمد عبد الحميد خفاجى، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420هـ/1999م.

3. فتحي محمد الشيخ أحمد، فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف سعود محمود عبد الجابر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، 2015م.

4. رمضاني فوزي، دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف بحاز إبراهيم بكير، قسم التاريخ والجغرافيا، جامعة الجزائر، (1431.1430هـ) (2010.2009م).

5. سناء احمد فلاح القضاة، المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، اشراف محمد عيسى صالحية، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، 1428هـ/2007م.

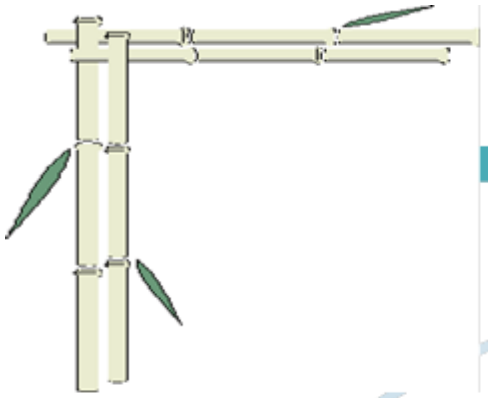

فهرس الموضوعات

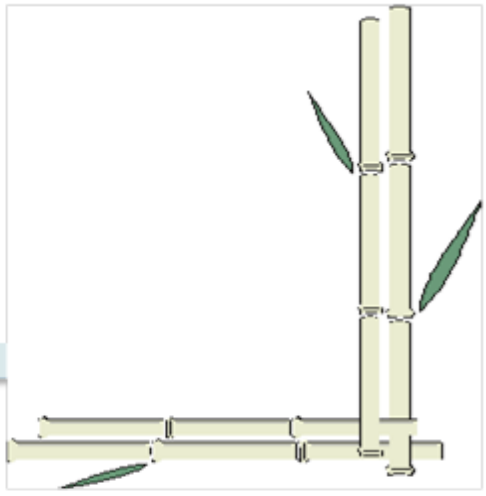

فهرس الموضوعات

البسملة	
. الرموز والاختصارات	
. الاهداء	
. التشكرات	
. المقدمة	أ – ث
الفصل الأول: عناصر وطبقات المجتمع المصري في العصر الأيوبي	
المبحث الأول: عناصر المجتمع المصري	8
المبحث الثاني: طبقات المجتمع المصري	21
الفصل الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي	
المبحث الأول: الزواج والأسرة	30
المبحث الثاني: الأعياد والاحتفالات	35
المبحث الثالث: العادات والتقاليد	40
الفصل الثالث: تأثير المجتمع المصري على الحياة العلمية في مصر خلال العصر الأيوبي	
المبحث الأول، دور المجتمع في العلم والتعلم	45
المبحث الثاني: المدارس والمكتبات في العصر الأيوبي	52
المبحث الثالث: التنشئة الاجتماعية ودورها في الحياة العلمية	58
الخاتمة	66
قائمة المصادر والمراجع	70
فهرس الموضوعات	75
الملخص	

ملخص

تناولت هذه الدراسة التاريخية ذات البعد الاجتماعي للدولة الأيوبية للفترة بين(567.648هـ/1250.1171م)، وهدفت الدراسة الي بيان عناصر وطبقات المجتمع المكونة له، اذ تراجع نفوذ بعض العناصر، وحلت محلها عناصر أخرى، ويعود هذا الى موقعها الجغرافي وطبيعة تضاريسها وأهميتها الدينية، والظروف التاريخية التي مرت بها المنطقة

وقد خلصت الدراسة الى أن الدولة الأيوبية تعرضت للتغير عن العصر الفاطمي نتيجة للتغير المذهبي من الشيعة الى السنة، فقد شهد عهد الأيوبيين نشاطا ملحوظا في الحياة العلمية، والحركة الثقافية في مصر.

ومن مظاهر هذا النشاط اهتمام ملوك بني أيوب وحكامهم بإنشاء المراكز والمؤسسات العلمية وأهمها المدارس والمراكز الدينية، مما أدى تفرع هذه المدارس والمراكز بمعلميها وطلابها، وهذا راجع الى التركيبة الاجتماعية المتنوعة مما ترك آثارا واضحة في التكوين البشري، والبناء الحضاري واللغات، والعادات والتقاليد.

كما ساهمت نساء الأسرة الأيوبية في بناء المؤسسات التعليمية وأوقفن عليها الأوقاف، وكانت مساهمتهن واضحة في هذا المجال، وشاركن في تشجيع الحركة الفكرية في هذا المجتمع.

Summary:

This study dealt with the historical study with the social dimension of the Ayyubid state for the period between (648-567 AH / 1171-1250 AD). that the area has been through

The study concluded that the Ayyubid state was subjected to change from the Fatimid era as a result of the sectarian change from Shiites to Sunnis. The Ayyubid era witnessed a remarkable activity in the scientific life and the cultural movement in Egypt.

Among the manifestations of this activity is the interest of the kings of Bani Ayyub and their rulers in establishing scientific centers and institutions, the most important of which are schools and religious centers, which led to the branching of these schools and centers with their teachers and students, and this is due to the diverse social structure, which left clear traces in human formation, civilizational construction, languages, customs and traditions.

The women of the Ayyubid family also contributed to building educational institutions and endowed them with endowments, and their contribution was clear in this field, and they participated in encouraging the intellectual movement in this society....

Sommaire

Cette étude portait sur l'étude historique avec la dimension sociale de l'état ayyoubide pour la période entre (648-567 AH / 1171-1250 AD) que la région a traversé.

L'étude a conclu que l'état ayyoubide a subi un changement depuis l'ère fatimide en raison du changement sectaire des chiites vers les sunnites.L'ère ayyoubide a été témoin d'une activité remarquable dans la vie scientifique et le mouvement culturel en Égypte.

Parmi les manifestations de cette activité figure l'intérêt des rois de Bani Ayyub et de leurs dirigeants pour la création de centres et d'institutions scientifiques, dont les plus importants sont les écoles et les centres religieux, ce qui a conduit à la ramification de ces écoles et centres avec leurs enseignants et étudiants, et cela est dû à la structure sociale diversifiée, qui a laissé des traces claires dans la formation humaine, la construction civilisationnelle, les langues, les coutumes et les traditions.

Les femmes de la famille ayyoubide ont également contribué à la construction d'institutions éducatives et les ont dotées de dotations, et leur contribution était claire dans ce domaine, et elles ont participé à encourager le mouvement intellectuel dans cette société.